الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون ــ تيارت ــ

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص تاريخ غرب إسلامي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر تخصص تاريخ غرب إسلامي بعنوان:

قشتالة وأراغون تاريخيا وسياسيا من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر.

إعداد الطالبة :

منصور فريحة

تحت إشراف الأستاذة :

د. راكة عمر

أعضاء اللجنة	الصفة
د.صديقي محمد	رئيسا
د. راكة عمر	مشرفا مقررا
د. بن يسى ربح	عضوا مناقشا

السنة الجامعية

2020/2019 م -1441 / 1442هـ

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع لروح الوالد رحمه الله

للوالدة حفظها الله،

لاستاذي الكريم راكة عمر ربي يحفظه ويبارك له في عائلته

للأساتذة المناقشين ربي يحفظهم

للأخ خالد ربي يحفظه للعزيزة أسماء ربي يحفظها

ولكل من ساعدني من قريب وبعيد في هذا العمل

كما اتمنى من الله عز وجل ان يحفظنا جميعا من هذا الوباء

التشكرات

نتوجه إلى الله تبارك وتعالى بالحمد و الثناء و الشكر كما يحبه ويرضاه على أن وفقنا لإنجاز هذا العمل ،على ما فيه من ضعف البشر وقصر النظر فما كان فيه من صواب فهو من فضله سبحانه وتعالى .

فله الحمد و الشكر وأسأله العفو و العافية.

كما لم نجد أصدق وأنبل من كلمة شكر وتقدير هي ابسط ما يمكن تقديمه إلى المشرف على هذا العمل ،الأستاذ " راكة عمر " على كل النصائح و التوجيهات القيمة المقدمة من طرفها ،فجزاها الله عنا خير جزاء ، وأدامها ذخرا للأجيال .

وإلى الأستاذة المشرفين على قبولهم مناقشة هذا العمل المتواضع.

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم و المعرفة

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل

مقدمة

أصبحت دراسة العلاقات بمفهومها الواسع، سياسية كانت أم اقتصادية أم ثقافية، بين دولة وأخرى، لها أهمية كبرى في معرفة قوة الشعوب والأمم، وفي مدى الازدهار أو البوار الذي تتصف به دولة أو أخرى، كما أنها دليل على صلاح أداة الحكم أو فسادها، ومؤشر يضع يدنا على سلامة الخط السياسي ووحدة الجبهة الداخلية أو انقسامها.

وعلى الباحث في هذا الميدان أن يغوص في أعماق المجتمعات وفيها يشكل حياتها من نظم سياسية واقتصادية وغيرها، بل ربما يدرس البيئة الطبيعية والجغرافية، كي يتعرف على طبيعة العلاقات بين الأمم والشعوب ويصل إلى العلل التي تؤدي إلى الغلبة والانتصار أو إلى الهزيمة والدمار ويضع يده على الأسباب التي تؤدي إلى انتصار حضارة أو انحسار أخرى.

من هنا تنبع أهمية الدراسة التاريخية السياسية بين مملكتي قشتالة وأراجون في الفترة بين القرن الثاني عشر والقرن الخامس العشر، فهي تضع يدنا على مفاتيح القوة والضعف في هاتين الدولتين وهي في ذلك كالمرآة، نرى فيها مجتمعات شبه الجزيرة الإيبيرية على حقيقتها ومدى ما كان فيها من وحدة وتفرق، وفضائل ونقائص، وعدالة أو ظلم وغنى أو فقر ورقي الحياة أو انحطاطها، لأن ذلك كله ينعكس على علاقات دول شبه الجزيرة الإيبيرية مع بعضها البعض، وك<ا دور كل من مملكتي قشتالة واراغون في سقوط دولة الاسلام في الاندلس بسقوط مملكة غرناطة آخر معاقل الاسلام في الاندلس .

والدراسة التي بين ايدينا في هذه العصور، ما هي إلا محاولة للوقوف على مظاهر الاحتكاك ونتائجه بين هذه الممالك سواء النصرانية فيما بينها او فيما بينها وبين المسلمين في الاندلس، سواء كان هذا الاحتكاك سياسياً أم عسكرياً أم حضارياً. وتاريخ الإسلام، في هذه

البلاد يظهره ذلك الاحتكاك الذي نشب بينه وبين النصرانية، والذي نسميه عادة بالعلاقات، منذ ظهرت دعوة الإسلام وحتى عصر سقوط الاندلس.

وعلى ضوء هذه الأحداث نطرح الإشكالية التالية:

– ما طبيعة العلاقات القائمة في هته الفترة الزمنية بين كل قشتالة واراغون وبقية الممالك سواء المسيحية او الاسلامية

ومنه تتفرع الإشكالية إلى التساؤلات الفرعية التالية:

– ما هو موقع قشتالة وكيف تم تأسيسها؟ وماذا عن مملكة اراغون

– ما هي أبرز العوامل التي ساعدت على احتكاك الممالك الاسلامية بالمماليك النصرانية؟

– وما مدى تأثير هذه العلاقة والصراع على الأندلس؟

وللإجابة على هذه التساؤلات تم الرجوع إلى مجموعة من المصادر والمراجع التي حاولنا فهمها وعرضها بأسلوب منهجي متبعين المنهج التاريخي التحليلي من خلال عرض الأفكار المتعددة والتنسيق فيما بينها، معتمدين بذلك على خطة تضمنت ثلاثة فصول، فقد عالج الفصل الأول حدود مملكتي قشتالة وآراغون بداية من الموقع الذي يعتبر ذا أهمية كبيرة وجغرافيتها وتاريخ استقلالها وتقسيمها على نفسها، ويضم نفس الفصل التطور السياسي لمملكة قشتالة إذ شهدت المملكة عدت ملوك، وأيضا إتحاد مملكتي قشتالة وآرغون.....

ولمعالجة الموضوع ودعمه اعتمدنا على تاريخية متمثلة في مجموعة من المصادر منها نفح الطيب للمقري (ت 686هـ/ 1041م) الذي أفادنا بمعرفة أصل تسمية مملكة غرناطة، وكذلك كتاب العبر لابن خلدون (ت 808هـ/ 1406م) الذي أفادنا بالتعريف بمملكة قشتالة آراغون، وأفادنا كتاب اللمعة البدرية لابن الخطيب (ت 676هـ/ 1374م) بمعرفة التطور

السياسي لمملكة قشتالة وآراغون وأيضا كتاب إعمال الأعمال لابن الخطيب للتعرف على ملوك مملكة قشتالة وآراغون، أما أهم المراجع المعتمدة في دراسات حضارة الأندلس وتاريخها لعبد الواحد ذنون طه والذي أفادنا بأن هناك علاقات سليمة بين مملكتي قشتالة وآراغون في الجانب الإقتصادي والثقافي.

وكذلك اعتمدنا على كتاب التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة للحجي عبد الرحمن على عالج كيف كان الإتحاد الكاثوليكي بين مملكتي قشتالة وآراغون، وكذلك كتاب دولة الإسلام في الأندلس الجزء الثالث لمحمد عنان الذي عالج فترة حكم أبي الحسن، واعتمدنا كذلك على كتاب تاريخ العرب السياسي في الأندلس لسعدون نصر الله وكتاب انبعاث الإسلام في الأندلس لعلي المنتصر، الكتاني وكتاب الأندلس في الفتح العربي، بحيث أن هذه المراجع السالفة الذكر أفادتنا في بداية سيطرت مملكة قشتالة وآراغون على أراضي الأندلس.

وقد اخترنا هذا الموضوع لاهميته البالغة ولحبنا لهذا النوع من الدراسات كذلك لجدة الموضوع

وقد تناولت الموضوع عدة دراسات ولكن تمثلت في الدراسات الاندلسية منها مذكرات ومنها كتب ومذكرات منها ملاحي فاطمة في العلاقات القشتالية الغرناطية ومذكرة اخرى بن لي صورية في للعلاقاتا لسياسية لنصرية.

وكذلك لاهمية الموضوع.

أما الصعوبات التي واجهتنا خلال بحثنا في الموضوع تكرار المادة العلمية في أغلب المراجع وكذالك واجهتني ظروف الحجر الصحي بسبب كوفيد 19 الذي منعني من الحصول على المراجع وكذا ظروف شخصية.

مدخل

أولا: بلاد الأندلس

نظرا للتاريخ القديم لشبه الجزيرة الآيبيرية، وتعدد الثقافات واللغات والأعراق التي مرت بها عبر تاريخها الطويل، نتيجة لمختلف الهجرات القديمة، ووصولا إلى الفتوحات الإسلامية، وما أعقبها من دول وإمارات فإننا نجد اختلافا كبيرا في التحديد الجغرافي لبلاد

الأندلس وكذا أصل الكلمة، من شعب لآخر ومن فترة زمنية لأخرى.

لفظة الأندلس:

أطلق اسم الأندلس على الإقليم الجغرافي الواقع شمال عدوة المغرب، وهو شبه مثلث تحيط به المياه من جهاته الثلاثة[1]، كانت تعرف في التاريخ القديم بشبه جزيرة أيبيريا أو إيبارية، وعندما جاء الرومان أطلقوا عليها اسم إشبانيا أوأصبانيا، وتحمل لنا كتب التاريخ اللاتينية معلومات مبهمة حول ذلك، وفي الكثير من الأحيان هي معلوماتا مبالغ فيها[2]، أما المؤرخون والرحالة المسلمون فبدورهم اختلفوا حول أصل إسمها (الأندلس)، فنجد تسميات عديدة أطلقت على هذا الإقليم في مختلف المصادر التاريخية والجغرافية، ومن تلك الأقوال قول الجغرافي الأندلسي ابن سعيد الغرناطي[3] :" أنها سميت بالأندلس على الأندلس ابن طوبال بن يافث

[1] مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت 2007، ص44.

[2] وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ج1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص32.

[3] ابن سعد الغرناطي(610 . 685ه / 1214 . 1286م) مؤرخ وجغرافي أندلسي من مؤلفاته: المغرب في حلى المغرب، كتاب الجغرافيا وغيرها، انظر: المقري، نفح الطيب، تحقيق محمد البقاعي، ط1، ج2 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ص346، 395.

بن نوح الذي نزل بها في الوقت الذي نزل أخوه سبت العدوة المقابلة وإليه تنسب مدينة سبتة"[1].

في حين يرى البعض الآخر بأن كلمة الأندلس كلمة أعجمية لم تستعملها العرب قديما، وإنما عرفوها بعد مجيء الإسلام[2]، وهي مأخوذة من الكلمة الإغريقية إشبانيا[3]

وقد أرجع آخرون هذا الاسم (الأندلس) إلى جيل قديم من الشعوب التي استوطنت المنطقة يقال لهم:" االقليزيين قطنوا بلاد الجرمان ثم زحفوا إلى الجنوب حتى بلغوا أعمدة هرقل(جبل طارق)[4]، فنسبت المنطقة إليهم (قليزيين) ثم تحول الإسم فيما بعد إلى الأندلس بعد مجيء المسلمين، بالإضافة إلى آراء كثيرة حول الموضوع.

وإن أول من اختط الأندلس على ما يروى هم بنو طوبال بن يافث بن نوح الذين سكنوها في وقت قديم جدا[5].

وإذا كانت أغلب المصادر تختلف حول أصل كلمة الاندلس فإنه على العكس من ذلك تكاد تجمع على مدلولها، إذ عنت عند العرب: البلاد التي سادها الإسلام من شبه الجزيرة الأيبيرية، فمع انتهاء الفتح الإسلامي للأندلس كان مدلولها مرادفا لشبه الجزيرة الأيبيرية تقريبا حينما ساد الإسلام معظم البلاد، ولما انحصر المد الإسلامي بعد سقوط عديد المدن

[1] المقري، نفح الطيب، المرجع نفسه، ص117، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص264.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1996، ص262.

[3] عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، من كتاب الروض المعطار، نشر ليفي بروفنصال، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ص1.

[4] شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، المجلد الأول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د ت)، ص32.

[5] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص32.

بأيدي الممالك النصرانية انحصر معها مدلول الكلمة، إلى أن أصبح في القرن السابع الهجري يقصد به مملكة غرناطة دون سواها[1].

وفي نفح الطيب للمقري أن اول من سكن الاندلسقوم يعرفون بالاندلس اي الفندال بهم يسمى المكان فعرب بعد ذلك بالسين كانو هم الذين عمروها وتناسلو فيها وتداولو ملكها دهرا على دين التمجس ثم أخذهم الله بذنوبهم ففر اكثرهم فأقفرت الاندلس منهم وبقيت خالية فيم يزعمون مائة سنةوزيادة

ابيريا وو الابيريون من اليونانية شعب مجهول الاصل عاصرو اسبانيا القديمة دول لقلت والفينيقيون واليونان والرومان وقد انتشرو في اسبانيا كلها وجنوبي فرنسا فالابيريون هم اقدم امم غربي اوروباواسم ابيريا لم يشمل في فرنسا سوى الاراضي غرب نهر الراون وقد ظهرت أمة القلت في فرنساواكتسح الابيريون اسبانيا حيث اختلطت الانساب فنشات امة القليزيين

اشبانيا: espagne اسماها الرومان hispania وكانت تسمى من قبلهم hesperie وقال المقري في سبب تسمية اشبانيا بهذا الاسم انه لما صار ملك الاندلس الى عجم روما وملكهم اشبان بن طيطش سميت الاندلس اشبانيا، وقد ذكر بعضهم أن اسمه أصبهان فأحيل بلسان العجم ، وقيل بل كان مولده بأصبهان فغلب اسمها عليه وهوالذي بنى اشبيليا وكانت اشبانيا اسما خالصا لاشبيليا التي كان ينزلها اشبان[2]

[1] ابن خاقان، تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الاندلس، تحقيق مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد، 2001، ص06.

[2] ج.س كولان، الأندلس، ت : إبراهيم خورشيت، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1،1980، ص43.

الحدود الجغرافية لبلاد الأندلس:

تقع بلاد الأندلس شمال عدوة المغرب، ولا يفصل بينهما إلا مجاز ضيق[1]، ولطالما اعتبرت الأندلس إقليما تابعا لبلاد المغرب جغرافيا، وذلك للقرب الجغرافي منها، وللتشابه الكبير بين المظاهر والخصائص الجغرافية للعدوتين الشمالية والجنوبية (الأندلس والمغرب)، وعلى هذا الأساس لطالما وصفت بلاد الأندلس في مختلف المصادر الجغرافية بأنها إقليم جغرافي من بلاد المغرب وهي آخر المعمور منها[2]، ولا يفصل بينهما إلا اثنتا عشرة ميلا، حتى أن أهل الجانبين يرى بعضهم بعضا ويتبينون زروعهم على حد تعبير ياقوت الحموي[3].

منازع[4]، ففي سنة 353هـ / 964م حلت بقرطبة مجاعة كبيرة وكان لعبد الرحمن الناصر ورجاله الدور في تخفيف من أثارها واستطاعوا التغلب عليها[5].

كما اشتهر الرقي والازدهار الداخلي والمنشآت المعمارية العظيمة ولذلك يعد من أعظم ملوك العالم في العصور الوسطى ومن أبرز منشآته مدينة الزهراء شمال مدينة قرطبة سنة 325هـ / 936م[6]، وبعد وفاته سنة 350هـ / 916م[7] خلفه إبنه الحكم المستنصر ثم خلفه إبنه هشام المؤيد لله وفي عهدهما ظهر الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي إستطاع أن يغتصب السلطة من الخليفة هشام المؤيد لله سنة 366هـ / 976م[8].

---

[1] رضا كحيلة، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، جامعة القاهرة، 1997، ص159.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت 2006، ص14.

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، (د ت)، ص262.

[4] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص296.

[5] عبد الله عنان، دولة الإسلام، المرجع السابق، ص378-487.

[6] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص303-304.

[77] عبد القادر قلاتي، الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصالة، الجزائر، 2010م، ص79.

[8] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص306.

تمتعت الأندلس خلال هذا العهد بالقوة والرخاء والاستقرار، وعرف هذا العهد أيضا النمو

والتقدم في كافة الجوانب، فزهت الأندلس بعمرانها وقامت بها عدة منشآت، فكثر العمران ونمت الزراعة والتجارة والصناعة وتقدمت العلوم والفنون وكثرت المدارس وأنشأت المكتبات وبعد وفاة الحاجب المنصور سنة 392هـ، تدهورت أحوال الأندلس واستبد أمراء الولايات الأندلسية فانقسمت إلى حوالي 20 إمارة وهو العصر الذي أطلق عليه عصر ملوك الطوائف[1].

المميزات الجغرافية لبلاد الأندلس :

تجمع المصادر التاريخية و الجغرافية عند حديثها عن جغرافية الأندلس على و صفها بالجنة، نظرا لجمال طبيعتها و تناسقها مابين الأشجار العالية، و الأنهار الجارية و الجبال الشامخة و المياه العذبة و الهواء النقي، و في ذلك يقول أحد الجغرافيين الأندلسيين و هو

الرازي :" الأندلس بلاد مباركة طيبة الماء و الهواء، و هي شامية في طيبها و هوائها يمانية في اعتدالها و استوائها هندية في عرفها و ذكائها أهوازية في عظيم جبايتها و كثرة جبالها،

صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها، و هي أخصب أرض الله تعالى و أعمرها و أكثرها بركة و أغزرها نسلا و أعمها خيرا "[2] .

كما قيل : " الأندلس أخر الإقليم الرابع إلى المغرب، و هو بلد كريم البقعة طيب التربة، خصب الجناب، منبجس الأنهار ... قليل الهوام ذوات السموم، معتدل الهواء و الجو و النسيم، ربيعه و خريفه و مشتاه و مصيفه على قدر من الاعتدال "[3] .

[1] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص306.

[2] مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص 42 .

[3] المقري، نفح الطيب، المرجع السابق، ج1، ص 120 .

و لذلك نالت الأندلس إعجاب كل من زارها من الجغرافيين و الرحالة و فتنوا بها، مما جعل الكثير منهم يحبذ الاستقرار و المكوث بها، و يفضلها على الكثير من بلاد المسلمين حيث الأجر موفور للساكن، و الثواب مذخور للمقيم و الظاعن كما وصفها ابن بطوطة [1].

و يرى لسان الدين بن الخطيب أن الله عز و جل قد أثر بلاد الأندلس من الناحية الجغرافية على سائر البلدان، و ذلك بما تتوفر عليه من ميزات جغرافية تساعد على الاستقرار، لما توفره للمقيم من خير و هدوء و غير ذالك، و في ذلك يقول : " و رأيت هذه الحضرة التي لا خفاء بما وفر الله من أسباب إيثارها، و أراده من جلال مقدارها، جعلها الله ثغر الإسلام و متبوئ العرب الأعلام .....، و ماخصه به من اعتدال الأقطار، و جريان الأنهار، و انفساح الاعتمار، و اتفاق الأشجار، و قد خصها الله من الري و غذق السقيا لذاذة الأقوات و فراهة الحيوان، و درور المياه، و كثرة الفواكه، وصنة الهواء ..."[2] .

و لنا في الشعر الأندلسي كذلك الكثير من القصائد في هذا الإطار، و التي تصف جمال و روعة البلاد الأندلسية، و تميزها على سائر البلدان، و منها قول الشاعر ابن خفاجة :

يَا أهْل أَنْدلُس لله درُكُمُ مَاءٌ و ظلٌ و أنْهَارٌ و أشْجارُ

مَا جَنَةُ الخُلد في دياركمُ و لَو تَخَيَّرتُ هذا كُنتُ أَختارُ

لا تَحْبُوا غَد أن تدخُلوا سَقَرًا فلَيسَ تُدخَلُ بعدَ الجَنَّة النَّارَ[3]

و قوله أيضا :

---

[1] ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تقديم محمد السويدي، ج 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989، ص 340

[2] ابن الخطيب، الاطاحة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، المجلد الأول، ط2، الشركة المصرية للطباعة و النشر، القاهرة، 1973، ص 84، ابن الخطيب، أعما الاعلام، القسم الثاني، تحقيق ليفي بروفنصال، ط2، دار المكشوف، بيروت، ص 4 .

[3] المقري، نفح الطيب، المرجع السابق، ج 2، ص 170 .

إنَّ للجَنَّة بالأَندَلُس مُجْتلى مرَأًى و ريًّا نَفَس

فَسَنَى صُبحَتها من شَنَب و دجى ظلمتها من لعس

فإذا ما هبت الريح صبا صحت وا شوقي إلى الأندلس [1]

و من ذلك كذلك قول الشاعر ابن السفر المريني :

و في أرض أندلس تلتذ نعماء و لا يفارق فيها القلب سراء

و ليس في غيرها بالعيش منتفع و لا تقوم بحق الأنس صهباء

و كيف لا يبهج الأبصار رؤيتها و كل روض بها في الوشي صنعاء

أنهارها فضة و المسك تربتها و الخز روضتها و الدر حصباء[2]

ولا شك أن هذه الميزات و غيرها ساهمت مساهمة كبيرة في صنع التاريخ و حضارة الأندلس في مختلف المجالات : السياسة، الاقتصادية و الثقافية و حتى العمرانية ...، و ذلك من خلال ما وفرته من منعة و قوة لسكانها يأمنون بها من شر الأعداء، و من خيرات وفيرة و سهلة المنال تشجعهم على الاستقرار، و من جمال خلاب و ساحر ألهم الكتاب و الشعراء، و غير ذلك من الأمور التي كان انعكاسها واضحا على مختلف نواحي الحياة بالأندلس، كما أنه و من جهة أخرى و نتيجة لتلك الخيرات و المميزات كانت بلاد الأندلس دائما محل أطماع مختلف الإمارات و الممالك و الدول التي كانت بأطرفها آنذاك، و بالتالي تأثيرها (المميزات الجغرافية) على الأوضاع السياسية السائدة و قتئذ .

[1] المرجع نفسه، ج1، ص 174 .

[2] المرجع نفسه، ج1،ص 173 .

ثانيا : لمحة عن الأوضاع السياسية بالأندلس

إن أول من دخل الأندلس من المسلمين على ما يروى هو طريف البربري الذي تنسب إليه جزيرة طريف، و هو أحد موالي الفاتح موسى بن نصير، و قد جاز إلى الأندلس في سنة 91 هـ / 710 م، و نجح في مهمته الاستكشافية و عاد بغنائم كثيرة، مما جعل موسى بن نصير يعقد لواليه على طنجة طارق بن زياد للجواز إلى الأندلس قصد فتحها [1]، فدخلها طارق سنة 92 هـ/ 711 م، و إليه ينسب جبل الفتح أو جبل طارق الذي لا يزال يحمل اسمه.

و قد تكمن طارق من فتح قرطبة [2] و قتل ملكها لوذريق، كما فتح موسى بن نصير مدنا أندلسية أخرى هامة في مدة ثلاث سنوات، مثل قرمونة ، اشبيلية، ماردة و غيرها [3] ،إلى أن استدعاه الخليفة الأموي الوليد بن عبد المالك، فقفل راجعا هو و طارق إلى المشرق[4] سنة 95 هبعدما ترك ابنه عبد العزيز واليا على الأندلس [5] .

و بذلك أصبحت الأندلس ولاية إسلامية يحكمها وال يعين من قبل الخليفة أو والي إفريقية، و من أبرزت الولاة الذين تعاقبوا على الأندلس نذكر : عبد المالك ابن قطن الفهري، بلج بشر القشيري، أبو الخطاب بن ضرار الكلبي، يوسف بن عبد الرحمان الفهري [1] و غيرهم.

---

[1] المقري، نفح الطيب، المرجع السابق، ج1، ص 187، المسعودي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمد الأرناؤوط، دار ابن الكثير، بيروت، (د ت)، ص 362 .

[2] قرطبة مدينة كبيرة مشيدة على أطراف الوادي الكبير، كانت قاعدة الأندلس و دار الخلافة الأموية، و مدينة العلم و العلماء، أُنظر . ابن بسام السنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981، ص 33 .

[3] Claudio Sanchez Ahbornor ; l'Espagne musulmane ; traduction ; claude fraggi ,opu,publisud,1985,pp 15-16

[4] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المرجع السابق، ص 6، أحمد بن عميرة الظبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 15-16، الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق المنجي الكعبي ، نشر رفيق السفطي، تونس، (د ت)، ص 04-07 .

[5] عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير، ج 2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 281-282 .

و في عهد هذا الأخير (يوسف الفهري) دخل الأمير الأموي عبد الرحمان بم معاوية بن هشام الأندلس بعدما فر من العباسيين، و استطاع بمساعدة موالي بني أمية من إحياء الدولة الأموية بالمغرب سنة 138 هـ بعدما اندثرت بالمشرق [2]، و قد سجل لنا التاريخ الكثير من الأعمال التي قام بها الأمير ببلاد الأندلس من خلال إظهار هيبته و مراعاته لأحوال الشرع و رفعه لمقدار العلماء و الفقهاء [3]، و قد كان نفسه من أهل العلم و العدل و الأدب، و له قصائد عديدة مستظرفة منها أنه حينما نزل بالرصافة من قرطبة نظر إلى نخلة فتكر وطنه دمشق فأنشد يقول :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بالأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب و النوي و طول التنائي عن بني و أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء و المنتأي مثلي [4]

و الأمر نفسه يقال عن ابنة هشام الذي كان هو الآخر من أئمة العدل حتى قيل أنه كان بمنزلة عمر بن عبد العزيز [5] .

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، المرجع السابق، ص 07 .

[2] المرجع نفسه، القسم الثاني، ص 32-40، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقق إسماعيل العربي، المؤسسالوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 32-40، مؤلف مجهول، أخبلر مجموعة في فتح الاندلس و ذكر أمرائها، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 121-131 .

[3] الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور هو الذي أطلق على عبد الرحمان بن معاوية (الداخل) لقب صقر قريش، إذا قال يوما لجلسائه : " صقر قريش عبد الرحمان بن معاوية بن هشام الذي عبر البحر و قطع القفر، و دخل بلدا أعجميا منفردا بنفسه فمصر الأمصار، و جند الأجناد و دون الدواوين، و نال ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره، ينظر : مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص 159-160، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص 360-363 .

[4] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، المرجع السابق، ص 10 .

[5] نفسه، ص 10-12 .

و مع بداية القرن 4 هـ/ 10 م عرفت الأندلس أوج ازدهارها سيما بعدما أعلن عبد الرحمان الناصر الخلافة سنة 300 هـ/912 م، و تسمى بأمير المؤمنين، فكانت له أعمال كثيرة جليلة لعل أبرزها إخماد الثورات المناهضة له، و توسيع رقعة الدولة الأموية بالأندلس، حتى قيل أنه لم يبق في عهده مخالف و لا نازعه منازع [1]، كما قيل : " كانت ولايته للخلافة شمسا نافية لظلمات النفاق، و مطرا وابلا غاسلا للآفاق، أشرقت إليه النفوس، و زايل سعده النحوس، فأخمد نيران الفتن ...، فاتفق له سعد و لم يسمع بمثله فيما سبق"[2].

و بعد وفاة الناصر خلفه ابنه الحكم المستنصر، و جاء بعد الحكم ابنه هشام المؤيد بالله، و الذي برز في عهدهما الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي استطاع بدهائه و حنكته أن يغتصب السلطة من الخليفة هشام المؤيد بالله الذي تولى الخلافة سنة 365 هـ / 975 م، و رغم نظرة الأندلسيين إليه على أنه مغتصب للخلافة من أصحابها إلا أنه كان محبوبا من قبل العامة نظير الأعمال الجليلة التي قام بها [3] . و لا سيما انتصاراته العديدة على النصارى و قربه من الرعية و الاهتمام بأحوالهم .

و بعد وفاته تدهورت أحوال الأندلس نتيجة لظروف داخلية و أخرى خارجية أبرزها ضربات المماليك الإسبانية، و نتيجة لذلك استبد أمراء الولايات الأندلسية المعروفة و شكلوا شبه دويلات مستقلة، و هي الفترة التي اصطلح على تسميتها بفترة عصر دويلات الطوائف و ملوك الطوائف [4]، إذ انقسمت بلاد الأندلس إلى أكثر من عشرين إمارة عرفت خلالها البلاد الكثير من الضعف و الانحطاط نتيجة تناحر هذه الامارات فيما بينها حول مناطق النفوذ ،

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المرجع السابق، ص 29-30 .

[2] مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص 202 .

[3] من تلك الأعمال جهاجه ضد النصارى، تحقيق العدل و الأمن، تخليد عدة منشأت معماره كمدينة الزاهرة ...، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 59-83، ابن خلدون، العبر، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 176-178، محمد لبيب البتنوني، دار المصري للطباعة، 1998، ص 36 .

[4] المقري، نفح الطيب، المرجع السابق، ج 1، ص 176 .

و كذا الصراع الكبير على الحكم، و من تلك الامارات نذكر : إمارة بنو عباد بإشبيلية [1]، بنو ذي النون بطليطلة [2]، بنو توجيب بسرقسطة و كذا بنو هود أيضا بسرقسطة [3]، العامريون

في بلنسية [4]، بنو زيري في غرناطة[5]، و إمارة أخرى كثيرة [6]، و هي الفترة التي قال عنها الشاعر ابن رشيق المسيلي القيرواني:

مما يزهدني في أرض أندلسا تقليب معتضد فيها و معتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد [7] .

---

[1] إشبيلية : مدينة كبيرة بالأندلس على نهر قرطبة، كانت دار ملك بن عباد، و اشتهرت بزراعة القطن الطي كان يحمل منها إلى إلى كافة بلاد الأندلس و المغرب، اليعقوبي، البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 193 .

[2] تقع مدينة طليطاة في الجنوب الغربي من مدريد، تحيط بيها الغابات، و يمر بها نهر التاج، علي بن سالم الورداني، الرحلة الاندلسية، تحقيق عبد الجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 53 .

[3] سرقسطة من أهم قواعد الأندلس، كبيرة القطر، واسعة الشوارع، كان بها سور حصين، تقع على ضفة النهر الكبير المعروف بأبرة، كما تسمى أيضا بالمدينة البيضاء لكثرة جصها و جيرها، الإدريسي، المرجع السابق، ص 278 .

[4] تقع بلنسية شرق قرطبة و تعرف بمدينة التراب، و هي في غاية من الخصب و الاعتدال للهواء عرفت بمطيب الأندلس، اليعقوبي، المصدر السابق، ص 195، عبد الواحد المرلكشي، المرجع السابق، ص 265 .

[5] غرناطة إحدى اعظم مدن الاندلس كانت تعرف بدمشق الاندلس لشبهها بمدينة دمشق، عظمت في عهد بني الأحمر الذين اتخذوها عاصمة لحكمهم، ابن الخطيب، معيار الإختبار في ذكر المعاهد و الديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002 ن ص 113 ،

ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص 21-22، المقري، نفح الطيب، المرجع السابق، ج1، ص 344، حسين مؤنس، " غرناطة تحفة من تحف الفن و عجيبة من عجائب التاريخ "، مجلة العربي، العدد 89، الكويت، أفريل 1966، ص 82-93 .

[6] عن ملوك الطوائف ينطر : ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص 186-195 . المقري، نفح الطيب، المرجع السابق، ج1، ص 176 .

[7] و في رواية أخرى :

مما يزهدني في أرض الأندلس سماع مقتدر بها و متعضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاضا صولة الأسد

و كان من الطبيعي أن يستغل النصارى تلك الأوضاع بعد تفرق المسلمين و اختلافهم فيما بينهم، فكثفوا من وراء ذلك طرد المسلمين نهائيا من الأندلس، و كاد أن يتحقق لهم ذلك في تلك الفترة، و هو ما عبر عنه الأديب عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال الطليطلي بقوله :

يَاأَهْل الأَنْدَلُس حَثُّوا مَطيَّكُم فَمَا المُقَامُ بها إلا منَ الغَلَط

الثَوبُ يُنسَلُ من أَطرافه وأَرى ثَوبَ الجَزيرة مَنْسُولاً من الوَسَط

و نَحنُ بين عَدُو لَنَا لا يُفَارقُنا كَيفَ الحَيَاةُ مَعَ الحَيَّات في سَفَط [1] .

و نتيجة للأوضاع المزرية و الخطيرة التي آلت إليها الأندلس في هذا العصر كان لزاما على الأندلسيين الاستنجاد ببلاد المغرب رغم خطورة ذلك بالنسبة لملوك الطوائف، و هو الأمر

الذي جنح إليه بنو عباد بإشبيلية و أمرهم المعتمد بم عباد [2]، إذ استنجد بالمرابطين، فأجاز ملكهم يوسف بن تاشفين سنة 479 هـ / 1086 م و دخل في حرب مع النصارى، فانتصر عليهم بمساعدة جيوش الطوائف في موقعه الزلاقة الشهيرة (رجب 479 هـ / أكتوبر 1086 م) [3]، ليعود بعدها إلى المغرب ' و لكن سرعان ما عاد النصارى لعدوانهم على المسلمين، فأجاز يوسف بن تاشفين مرة ثانية إلى الأندلس في سنة المسلمين، فأجاز يوسف

ينظر : الغبريني، عنوان الدارية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص 32 .

[1] سعدون عباس نصر الله، المرابطون في المغرب و الأندلس (عهد يوسف بن تاشفين)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 61 .

[2] المعتمد بن عباد هو صاحب إشبيلية و قرطبة و ما والاهم من جزيرة الأندلس، أحد أعظم و أبرز ملوك الطوائف بالأندلس، أحد أعظم و أبرز ملوك الطوائف بالأندلس، ابن خلكان، وفياة الأعيان و أنباء أنباء الزمان، ج1، المطبعة الميمنية، مصر، 1310 ÷، ص 27-25، حامد محمد خليفة، إنتصارات يوسف بن تاشفين، مطتبة الصحابة، الشارقة، 2004، ص 195-221 .

[33] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختاري العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البضاء، 1964، ص 233-252 .

بن تاشفين مرة ثانية إلى الأندلس في سنة 481هـ /1088 م، و في هذه المرة وجد تخاذلا كبيرا من قبل بعض جيوش الطوائف فعاد إلى المغرب فعاد إلى المغرب ناقما على ملوك الطوائف، و تم له ذلك فأصبحت الأندلس تابعة للمرابطين و ليبدأ بذلك عهد جديد من تاريخ و حضارة الأندلس [1] .

و بقي الأمر على تلك الحال إلى أن ظهرت دعوة الموحدين المعارضة للمرابطين في حرب بينهما [2]

و نتيجة لاشتغال أهل المغرب بذلك الصراع فقد تجددت الثروات و الفتن بالأندلس[3]، و لما استقام الأمر للموحدين بالمغرب لم يغفلوا أنظارهم عن بلاد الأندلس، سيما بعد استنجاد

الأندلسيين بهم ضد النصارى، فبعث عبد المؤمن بن علي بجيش تحت إمرة أبراهيم بن بزاز المسوفي سنة 541هـ/1147 م، و الذي استولى على الكثير من المدن كإشبيلية و لبلة [4]، و بعدها تحرك عبد المؤمن بن علي بنفسه إلى الأندلس سنة 555 هـ/ 1160 م [5]، و في سنة 591 هـ / 1195 م أجاز يعقوب المنصور و هزم ملك قشتالة ألفونصو الثامن في معركة الأرك الشهيرة [6] .

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 246-247، المقري، نفح الطيب، المرجع السابق، ج1، ، ص 341، محمد علي الصلابي، فقه التمكين عن دولة المرابطين ،ط1، مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، 2006، ص 66-125 .

[2] عن ذلك الصراع ينظر : البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975، ص 64-80 .

[3] ابن خلدون، العبر، المرجع السابق، ج4، ص 198-199، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، القسم الثاني، ص 248 .

[4] لبلة مدينة حسنة بالأندلس، لها سور منيع، و بها أسواق و تجارات و منافع جمة، الإدريسي، المرجع السابق، ص 265 .

[5] ابن الخطيب، المرجع السابق، ج 4، ص 200 .

[6] ابن خلدون، المرجع السابق، ج4، ص 200 .

و بعد وفاة المنصور خلفه ابنه الناصر و الذي بدروه أجاز إلى الأندلس سنة 609 هـ/ 1212م، و التقى بجيش الأدفونش (ألفونصو السادس) بموضع يعرف العقاب بالقرب من حصن سالم غير بعيد عن مدينة جيان [1]

و قامت بينهما المعركة الشهيرة في صبيحة يوم الاثنين 15 صفر 609 هـ الموافق ل 16 جوان 1212م و انتهت بهزيمة كبيرة للمسلمين [2]، حتى أن الأمير برنجيلا ابنة ملك قشتالة ذكرت في رسالة بعثتها إلى أختها أن عدد قتلى المسلمين بلغ 85 ألفا، كما جاء في رسالتها أيضا قولها : " إن أبانا الملك النبيل قهر أمير المؤمنين في معركة رائعة، إن هذا لشرف فريد، فلم نعتقد حتى تلك اللحظة أنه بإمكاننا قهر ملك المغرب على تلك الصورة "[3] .

و نظرا لحقد ملك قشتالة على المسلمين فإنه لم يترك حزنه و ثياب الحزن التي لبسها بعد معركة الأرك، و لما سئل أن يترك حزنه بعد انتصاره في معركة حصن العقاب أجاب بقوله :" و كيف و أنا لم أنتصف، و إنما غلبت ابن من غلبني، هضيمتي في عنق الإبن، و هضيمة الأب في عنقي لم تزلها عني غلبتي لغيرة "[4].

و هذا دليل على الحقد الكبير لهذا الملك على المسلمين [5]، و عدم نسيانه هزيمة الأرك، و هو ما يفسر تصاعد حدة هجمات جيوش المماليك النصرانية بعد معركة حصن العقاب، فمملكة أراغون من الشرق و قشتالة من الشمال و البرتغال من الجنوب، و هي الهجمات

[1] مدينة بالأندلس يعرفها يعرفها الجغرافي الأدريسي بأنها كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم، الإدريسي، المرجع السابق، ص 295، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص 229-230 .

[2] المراكشي، المعجب، المرجع السالق، ص 235-236 . (بيروت 2006).

[3] P 248. ...F:oeallaghamj ; a history medival ; spain ; cornelluniversity ; newyork ; 1975;

[4] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 331 .

[5] هذا الحقد سوف يتجلى بوضوح في القرون اللاحقة بحيث سوف يتعرض المسلمين إلى أبشع صور التعذيب و التنكيل باسم الكنيسة الكاثوليكية، و هو ما سوف نتطرق له في الفصل الرابع .

التي عجز الموحدون عن ردها [1]، و مما زاد من ضعف الموحدين تلك الثروات الداخلية التي قامت ضدهم كثورة ابن مردنيش بشرق الأندلس، و ثورة أبي سعيد عثمان بن الحكم الأموي بمنرقة[2]، و لعل أهم ثورة هي ثورة محمد بن يوسف بن هود الجذامي الذي خرج من مرسية سنة 625 هـ / 1228 م و استولى على مناطق واسعة من الأندلس [3]، و في هذه الظروف ظهر محمد بن يوسف بن نصر الذي يعرف بالشيخ و بابن الأحمر [4] .

و على هذا الأساس ظهرت موازين قوى جديدة في بلاد الأندلس و المنطقة المجاورة لها، فمن جهة ابن هود الجذامي و محمد ابن الأحمر، و من جهة أخرى المماليك النصرانية التي استغلت تلك الأوضاع للسيطرة الكاملة على بلاد الأندلس، و طرد المسلمين منها نهائيا، و لكن رغم تلك الأخطار و الأوضاع السياسية المتدهورة إلا أن الأندلس استطاعت الصمود و لفترة من الزمن تحت قيادة حكامها الجدد من بني الأحمر .

[1] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط، 1972، ص 117، و عن علاقة الموحدين بالنصارى بالأندلس ينظر : أبو رميلة هشام، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس، ط 1، دار الفرقان، نابلس، 1984، ص 235-319 .

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 270-277، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 4، ص 198، أبو رميلة، المرجع السابق، ص 105-205 .

[3] ابن الخطيب، الإطاحة في أخبار غرناطة ،ج2، مصر، 1901، ص 90-93 ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر نفسه، ص 277-286، ابن خلدون، العبر، المرجع السابق، ص 201-204 .

[4] ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط2، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، 1980، ص 32 .

الفصل الأول

مملكة قشتالة وآراغون

المبحث الأول: التعريف بمملكتي قشتالة وآرغون

المطلب الأول: تأسيس مملكة قشتالة

تعد مملكة قشتالة أكبر المماليك وأكثرهم قوة بحيث كانت المماليك الأخرى تشعر بالخوف اتجاه هذه المملكة بمكان يتمتع ملوكها من قوة.

موقعها:

تقع قشتالة بين ليون ونبارة بحيث يحدها من الشرق هضاب نبارة ومن الغرب مملكة ليون[1].

نشأتها:

كانت قشتالة عبارة عن سلسلة من القلاع والحصون أقامها حكام ليون لحماية حدوده وكان سكانها الأصليين من البشكنس وأهل ألبة[2]، وقد تعرضت قشتالة لغزو من طرف ملوك السلاجقة، كما إتخذت قشتالة من برغش[3] عاصمة لها، كما كان القشتاليون يتمتعون بسلطات محدودة ولم يرغبوا أن يبقوا خاضعين تحت حكم مملكة ليون، فاتحدت هذه القلاع في إمارة واحدة وسموها المسلمون بقشتالة وتعني القلاع[4]، وقد حصلت على استقلالها في منتصف القرن الرابع للهجرة، العشر ميلادي[5].

---

[1] عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص590.

[2] – ألبة: مدينة قديمة البنيان كثيرة الخيرات والعيون، ينظر: ابن حوقل، المرجع السابق، ص70.

[3] – برغش: مدينة كانت في بادئ الأمر مجموعة من القرى الصغيرة، وأنشأت في عهد ألفونسو الثالث ملك ليون، ينظر: عبد الله عنان، الأثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، المرجع السابق، ص290.

[4] – عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ج3، ص591.

[5] – أحمد المختار العباي، المرجع السابق، ص196.

وعندما تحرر القشتاليون خلال القرن 4هـ /10م ظهر زعيم لهم يسمى فرناندو غنصالس fernandogonzales، بينما تسميه المصادر الإسلامية فران غنصالس[1].

يذكر ابن الخطيب في حديثه عن سلالة ملوك قشتالة فيقول : " تولى القاضي الأول نونيه رجوى سنة واحدة وهي سنة 732م ثم هلك ثم تولى إبنه غنصالس نونيه "[2] ويفهم من هذا النص أن الحكم في مملكة قشتالة كان وراثي، كما واصل ابن الخطيب حديثه عن ملوك قشتالة فقال :" ثم تولى بعده ابنه القمز دون فران غنصالس"[3]، كما يذكر ابن الخطيب أن فران غنصالس ثار على حكام ليون ونصب نفسه حاكما، فساعدته الاضطرابات التي كانت تشهدها مملكة ليون، واستغلال قشتاليون الظروف الصعبة التي تمر بها مملكة ليون[4]، عين بعد أسر فران غنصالس ابنه شانجيه، لكن ذلك لم يرضى به القشتاليون وأرادوا تلخيص زعيمهم من الأسر وقاموا بتوجيه نحو ليون[5]، وبهذا أطلق سراح فران غنصالس بشروط مكنته من العودة إلى قشتالة "[6].

وبعد وفاة المؤسس الحقيقي لمملكة قشتالة خلفه دون شانجيه على عرش المملكة وعن ذلك يواصل ابن الخطيب في ملوك قشتالة بقوله :" ثم تولمن بعده يقصد بعد فران غنصالس

---

[1] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص275.

[2] لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد اللهبن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجره ذلك من شجون الكلام، تح: ليفي بروفسال، ط2، ج2، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص328.

[3] المرجع نفسه، 325.

[4] عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ج3، ص592.

[5] ابن الخطيب، المرجع السابق، ص328.

[6] الشروط التي تم إطلاق سراح فران غنصالس هي: ولاء الطاعة لرميريه إضافة إلى تنازله عن جميع أملاكه وأن يقوم بتزويج إبنتها أوراكة لوالد روميريه وهو أردونية، ينظر: عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ج3، ص591-592.

القمز دون شانجيه، وكان للدون شانجيه ابنتان إحداهما دونا طريجة تزوجت دون صاحب ليون، والثانية دونا إليزة تزوجت ملك نبارة وولدت له ابنين كبيرهما دون غرسية ملك نبارة بعد أبيه والثانية دون فرناندو الذي كان أول من تسمى بملك قشتالة "[1]، ويفهم من هذا القول أن ملك قشتالة وطد علاقته بملكتي ليون ونبارة وهذا ما شجع الدون شانجيه أن ينصب نفسه ملكا على قشتالة، ويشير ابن الخطيب إلى ذكر ملوك قشتالة بعد وفاة ملكها الدون شانجيه : " فلما توفي الدون شانجيه قمز قشتالة ولي بعده دون غرسية ابنه وكان ضعيف العقل، اقتضى نظره إلى ليون أخت ملك برمودة، وحمل معه صهره الدون شانجيه ملك نبارة فنزل صاحب نبارة بفحص ليون، ونزل دون غرسية داخل البلد وجدت بالبلد فتنة وهرج قتل فيها "[2]، وكان اغتيال دون غرسية ملك دون شانجيه سنة 420هـ/1029م في كنيسة مدينة ليون وقيل أن مقتله كان من تدبير برمودة الثالث ملك ليون أثناء تأدية مراسيم زواجه من أخته شانجيه[3].

ويفهم من هذه المؤامرة أن برمودة لم يكن موافق على هذه المصاهرة دون غرسية كانت له أطماع سياسية وتوسعية على حساب مملكة قشتالة، وعلى إثر هذا الاغتيال قامت حرب بين ملك ليون ونبارة ويقول ابن الخطيب في تفاصيلها :" وقامت الحرب في أجل ذلك _ يعني إغتيال غرسية في الكنيسة بمدينة ليون بين صاحب ليون وصاحب نبارة[4] ويقدم لنا نتائج هذه الحرب في قوله :" وقد أضاف في ملكه _ يعني غرسية الثالث بعد قتل صهره في

[1] ابن الخطيب، المرجع السابق، 327.

[2] نفسه، ص328.

[3] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص327.

[4] ابن الخطيب، المرجع السابق، ص328.

قشتالة في سنة 1066م وكانت نحو 26 سنة وقتلت طائفة من الزعماء أتهمت بتدبير على صهره _

واستضاف أرضهم إلى أرض قشتالة وهي ، فضخم ملكه "[1] ويفهم من هذا القول أن دون غرسية لم يكن له وريث على العرش فخلفه بعد إغتياله ألبيرة

ملك نبارة وهو شانجيه غرسية الثالث وقم بضم أراضي قشتالة إلى مملكة نبارة وعلى هذا الأساس قامت الحرب بين ليون ونبارة لم يتفوق فيها أي طرف آخر فانتهت بعقد صلح ويشير ابن الخطيب بهذا الشأن :" ثم تصالحا مع صاحب ليون على أن يتزوجا ابنه دون فرناندو مع أخته وأن يسمى ملك قشتالة وأعطاه أبوه جزءا كبيرا من أرض نبارة وهي ناجرة وما يليها"[2].

المطلب الثاني: تأسيس مملكة آراغون

نشأتها:

ظهرت مملكة أرغون على اثر تقسيم شانجه الكبير للمملكة 426هـ / 1035م، وكانت هذه المملكة تحت حكم رميرو 426هـ / 1036م[3]، وفي هذا يقول ابن الخطيب عندما يشير إلى ملوك أراغون :" أول من انفرد بها واقتطعها دون رميرو ابن ملك نبارة "[4]، وعلى هذا القول

[1] ابن الخطيب، نفس المرجع، ص329.

[2] المرجع نفسه، ص329.

[3] هشام أبو رملية، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، الأردن، 1984، ص314.

[4] ابن الخطيب المرجع نفسه، ص337.

يكون رميرو أول ملوك أرغون وقد اتبع هذا الأخير سياسة توسعية حيث اتحد مع إمارة سوبرات وبهذا تمكن من توسيع إمارته[1].

لقد زاد طمع رميرو في ملك أخيه غرسية ملك نبارة وحاول الاستيلاء عليها بتحالفه مع بني هود حاكم سرقسطة، ورغم هذا التحالف إلا أنه انهزم أمام غرسيه في عام 433هـ / 1042م، وهذا ما جعل رميرو بالهروب بعدما خسر مملكته[2].

ويشير ابن الخطيب إلى وفاة رميرو بقوله :" وهلك. يعني رميرو. قتيلا في حرب المسلمين"[3].

وكان هلاك رميرو سنة 456هـ / 1063م فخلفه على العرش أخوه ويقول ابن الخطيب في هذا الشأن :" وتول بعده أخوه شانجه، ونزل مدينة وشقة من مدن الإسلام بشرق الأندلس "[4] فحافظ شانجه على حدود مملكته من خطر النصارى والمسلمين[5]، بحيث يقول ابن الخطيب بشأن وفاة شانجه :" فأصيب بسهم قضي عليه "[6] وكان وفاته عند محاصرته لمدينة وشقة[7]، وشقة[7]، فخلفه على حكم مملكة أرغون ابنة الدون ألفنش أو كما يعرف ألفونسو الأول " المحارب "[8]، سنة 498هـ / 1105م[9].

[1] هشام أبو رملية، المرجع السابق، ص315.

[2] هشام ابو رميلة المرجع السابق، ص315.

[3] ابن الخطيب، المرجع السابق، ص337.

[4] ابن الخطيب، المرجع نفسه، ص337.

[5] هشام أبو رملية، المرجع نفسه، ص315.

[6] ابن الخطيب، المرجع نفسه ص337.

[7] ابن خلدون، المرجع السابق، ج4، ص163.

[8] ابن عذاري، المرجع السابق، ج4، ص53.

[99] هشام أبو رملية، المرجع السابق، ص315.

اهم ملوك قشتالة واراغون

ملوك قشتالة:

بعد خلع الفونسو العاشر العالم سنة1282م ورثه ابنه

شانجة الرابع الملقب بالباسل وعقد معاهدة سلام مع مملكة غرناطة

فرنالد الرابع1295

الفونسو الحادي عشر 1312

بطرة الاول الملقب بالقاسي1350

هنري الثاني انريق 1369

يوحنا الاول1379

هنريا الثالث انريق1390

يوحنا الثاني1406

هنري الرابع انريق الملقب بالعاجز1454

ازابيلا قد تزوجت بابن عمها فرناندو الذي ورث عرش اراغون باسم فرناندو الخامس.

ملوك اراغون:

لما توفي جايمش الاول 1276 خلفه

بطرة الثالث1291

الفونسو الثالث1285

جايمش الثاني1291

الفونسو الرابع1327

بطره الرابع1336

يوحنا الاول 1387

مارتين الاول 1395

فرناندو الاول 1410

الفونسو الخامس1416

يوحنا الثاني 1442

فرناندو الخامس1479

تزوج ابنة عمه ازابيلاملكة قشتالة فبوحدة هته الممالك سقطت غرناطة1492[1]

المبحث الثاني: علاقة قشتالة وآراغون بالمماليك المسيحية انجلترا والبرتغال

المطلب الأول: علاقة قشتالة وآراغون بالبرتغال

لقد عرفت بلاد الأندلس قيام عدة دويلات ولعل أبرزها ملوك الطوائف الذين منحوا للنصارى تقوية نفوذهم وتوسيع رقعتهم فامتد حكمهم من منتصف يانة حتى المحيط الأطلسي وشمل على قسم من نهر تاجة أما القسم الشمالي من ولاية لوزيتانيا[2] فقد استولى عليه النصارى شيئا فشيئا ملك قشتالة فرناندو الأول تمكن من السيطرة على معظم قواعد المسلمين كان آخرها مدينة قلمرية[3] سنة 453هـ / 1064م، وجعل فرناندو من هذه المنطقة ولاية مستقلة باسم البرتغال[4] ويشير ابن الخطيب إلى سلالة ملوك البرتغال فيقول :" أول من انفرد بملك البرتغال واقتطعه من ليون قشتالة القمز آنذريق الذي تزوج ابنة آلفونسو ملك قشتالة وليون[5].

[1] خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، لبنان، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004، ص295.

[2] لوزيتانيا: يقع هذا الإقليم غرب الأندلس، يحده شمالا براجا وجنوبا قلمرية، نفسه، ص522.

[3] قلمرية: تقع على سفح جبل من تراب محصن طبيعيا وهي مدينة صغيرة بمحاذات نهر يسمى منذيق، ينظر: الإدريسي، المرجع السابق، ص 726.

[4] عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ج3، ص522.

[5] ابن الخطيب، المرجع السابق، ص330-337.

ويفهم من هذا القول أن ولاية البرتغال كان يحكمها زوج ابنة ألفونسو السادس الذي أعطاه الملك والذي كان حكمه لها سنة 1094م[1]، وشملت على عدة مدن هامة مثل بازو، بورتو، قلمرية وجليقية، وكانت البرتغال إحدى القواعد التابعة لقشتالة وليست إمارة مستقلة، بحيث كانت هذه الولاية تتشارك مع قشتالة في حروبها ضد المسلمين[2]، وبعد وفاة انذريق خلفه

على العرش ابنه ألفنش ويقول ابن الخطيب في هذا الشأن :" ثم هلك يعني أنذريق وولي عهد البرتغال ابنه "[3]. ويفهم من هذا القول أن البرتغال كان لها الحرية في اختيار ملوكها

رغم أنها كانت تابعة في الحكم لقشتالة، وعندما تولى ألفنش حكم البرتغال كان عمره ثلاث سنوات، فحكمت أمه تريسا كوصية عليه، فحاولت المحافظة على مملكتها واستولت على يابرة وشنترة أشبونة وتوسعت مملكة البرتغالفي عهدها وتمكنت من وقف زحف المسلمين[4].

البرتغال:

تعد مملكة البرتغال من أكثر المماليك عدائية للمسلمين بالأندلس [5]ففي سنة 483هـ / 542م اتخذت القوات المرابطية من مدينة بطليموس قاعدة عسكرية تخرج منها الحملات الجهادية صوب مملكة البرتغال، فاستطاعت القوات المرابطية استرجاع بعض المدن أهمها:

[1] ابن الخطيب، المرجع السابق، ص330.

[2] عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ج3، ص524.

[3] ابن الخطيب، المرجع السابق، ص330-337.

[4] ابن عذاري، المرجع السابق، ج4، ص64.

[5] هشام أبو رملية، المرجع السابق، ص315.

يابرة وأشيونة وشنتريين سنة (505هـ – 542هـ) وألميرية سنة (511هـ – 1117م) أما في الفترة الممتدة من (533هـ – 542هـ) وبعد التحالف الذي قام بين ملك قشتالة وملك البرتغال سنة (533هـ – 1139م) إستطاعت القوات البرتغالية هزيمة القوات المرابطية في موقع أوربيك على ضفة نهر التاجة واسترجعت معظم المدن التي كانت تحت سيطرت المرابطين سابقا[1].

المطلب الثاني: علاقة قشتالة وآراغون مع ليون ونبارة

الفرع الأول: العلاقة مع مملكة ليون

كانت مملكة ليون مستقلة عن قشتالة وتزامن هذا الإنفصال بوفاة ملك قشتالة ألفونسو السابع، وبعد وفاته قسمت المملكة بين ولديه وكان ذلك في سنة 552هـ – 1157م[2]، وبعد تقاسم الأخوين ملك أبيهما عقد اتفاق أيضا على تقسيم مملكة البرتغال بينهما[3].

ويعد أهم شيء خرج به هذا الإتفاق هو توحيد جهودهما في غزو الأندلس وتقسيم مناطق النفوذ بينهما حيث انفرد فراند بغزو المناطق الغربية الواقعة بين مدينتي أشبونة ولبلة أما شانجه فكانت له نفوذ قشتالة وغزو بقية الأندلس خاصة المناطق الواقعة بين الوادي الكبير ومدينة غرناطة[4].

[1] عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص129.

[2] عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ج3، ص37.

[3] نفس المرجع، ص37.

[4] هشام أبو رملية، المرجع السابق، ص302.

لم يمض عام من وفاة ألفونسو السابع حتى لحق به ابنه شانجه ويقول في ذلك إبن الخطيب: (ثم استمرت أيام دون شانجه بعد موت أبيه عاما واحدا)[1].

بينما فرناندو الثاني عقد معاهدات صلح مع الموحدين في سنة 563هـ - 1168م، واستجاب الخليفة أبو يعقوب يوسف [2]لطلب ملك ليون حسب المعاهدة، وفي نفس الوقت أكد فرناندو الثاني التزامه بمعاهدة الصلح.

وفي سنة 564هـ - 1169م شن ملك البرتغال غزوة على مدينة بطليموس وحاصرها حصارا شديدا، ولما سمع ملك ليون تدخل بقواته واشتبك مع ملك البرتغال وهزمه وسلم بعدها المدينة إلى الوالي الموحدي[3]، ولكن بعدما استعصت بطليموس على فرانده الذي أراد الاستيلاء عليها طلب من يعقوب أن يعوضه بالمال الذي أنفقه في قتال البرتغال، فأعطاه يعقوب المال[4].

وفي سنة 584هـ - 1185م توفي ملك البرتغال ألفونسو هنريكيو استغل ملك ليون هذه الفرصة ليسترجع بعض القلاع والمدن التابعة للبرتغال.

وفي سنة 584هـ - 1188م، توفي فرانده الثاني وخلفه ألفونسو الثامن[5]، وقام ملك ليون بغزو قشتالة من أجل استرجاع الحصون والقلاع التي استولى عليها ملك قشتالة سابقا[1]، وفي سنة 608هـ - 1211م عقد معاهدة سلم بين الموحدين وملك ليون ألفونسو التاسع،

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المرجع السابق، ص331.

[2] أبو يعقوب يوسف: ولد سنة (555هـ) بمراكش بويع في 19 ربيع الثاني من (580هـ - م)، ينظر: ابن أبي الزرع، المرجع السابق، ص215-218.

[3] هشام أبو رملية، المرجع السابق، ص307.

[4] ابن عذارى، المرجع السابق، ج3، ص103-104.

[5] هشام أبو رملية، المرجع السابق، ص311.

وقبل الموحدين ذلك بشرط أن لا يتعدي ألفونسو التاسع على أراضي المسلمين فوافق على ذلك، لكن ملك ليون لم يلتزم بذلك وشارك بقواته إلى جانب قشتالة لقتال الموحدين في معركة سميث بحصن العقاب 609هـ 1212م[2]، والتي انهزم فيها المسلمين[3].

وعن عدم التزام ملك ليون بوعده للمسلمين يقول ابن خلدون:" والببوج صاحب ليون هو الذي مكر بالناصر عام العقاب، فداخله وقدم عليه وأظهر له التنصيح، فبذل له أموالا ثم غدر به

وكر عليه الهزيمة يوم العقاب "[4] ويقول في موضع آخر:" وكان ابن ألفونشقد ناظر ابن عمه البيوج صاحب ليون في آن بوالي الناصر ويجر الهزيمة على المسلمين ففعل ذلك "[5].

وفي سنة 609هـ – نوفمبر 1212م، اجتمع ملوك قشتالة وليون والبرتغال وعقدوا صلحا بينهم بعد حصن العقاب[6].

الفرع الثاني: العلاقة مع مملكة نبارة

تعتبر مملكة نبارة هي رابع الممالك صغيرة الرقعة كان يحكمها رامون برنجير ويسمى أيضا ألفونسو الثاني وتولى العرش بعد أبيه رمون برنجير الرابع في سنة 1162م ولقب أيضا بملك "أراغون قطلونية" وكان بينه وبين قشتالة علاقة مصاهرة، التي تمت بعقد حلف بينهما ضد باقي الأمراء، ولكن هذا الحلف لم يدم طويلا حتى عادت الحرب بينهما من جديد[7]،

---

[1] ابن أبي الزرع، االمصدرالسابق، ص227 – 228.

[2] ابن خلدون، االمصدر,السابق، ج4، 183.

[3] ابن عذارى،المصدر, السابق، ج3، 241.

[4] ابن خلدون، المرجع نفسه، ج4، ص233.

[5] نفس المصدر، ص250.

[6] هشام أبو رملية، المرجع السابق، ص315.

[7] عبد الله عنان، دولة الإسلام، المرجع السابق، ص584.

فهزم الكونت فرنان غنصالس أمير قشتالة وأسر في موقعة نشبت بين الفريقين على مقربة ناجرة ولما توفى الناصر[1] تولى مكانه ولده الحكم المستنصر وطالب ملك نبارة بأن يسلمه أسيره فرنان غنصالس أمير قشتالة، فرفض الملكان مطالب الحكم، وأطلق غرسية أسيره فرنان غنصالس.

ولما توفي غرسية سانشيز خلفه في عرش نافارة ولده سانشوغرسية الثاني، وكانت نافارة قد اتسعت رقعتها وأصبحت تشمل ولايات: كانتريا، وسوبراي، ورباجورسا، وخلف سانشو في

الحكم ولده غرسية سانشيز الثالث فلم يدم حكمه إلا خمس أعوام، وعهده غزا المنصور نبارة مرة أخرى 999م[2].

وهكذا كانت مملكة نبارة أول الممالك النصرانية المستقلة التي ظهرة منذ التواجد الإسلامي على أراضي شبه الجزيرة الإبيرية، ومع مطلع القرن الثاني الهجري بدأت هذه الإمارة تشق

طريقها كقوة معارضة ومناهضة لحكم المسلمين، وبذلك ظلت مملكة نبارة أضعف الممالك مقارنة بجارتيها ليون وقشتالة[3].

[1] لقب بلناصر لدين الله، بويع محمد الناصر ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي في حيات أبيه وفي عهده كانت له عدة إنجازات عمرانية، ينظر: ابن أبي الزرع، المرجع السابق، ص231.

[2] عبد الله عنان، المرجع نفسه ص599 – 600.

[3] المرجع نفسه، ص599 – 600.

علاقة مملكتي قشتالة

وأراغون بالمماليك الإسلامية

المبحث الأول: علاقة المرابطين بممالك المسيحية

لا شك أن هذه الأحداث التي شهدتها العدوتين المغربية والأندلسية في نهاية القرن الخامس هجري وهذا ما دفع دولة المرابطين الفتية أن لا تبقى مكتوفة الأيدي أمام الفوضى الأندلسية وضعفهما، إلا أن الظروف السياسية الضاغطة على شبه الجزيرة الإيبريبة قد خدمت المرابطين[1] فجعلت الأندلسيين يلحون في طلب عبور المرابطين إليهم قبل أن يفرض عليهم ذلك[2] وبعد تضارب أراء الأندلسيين فيمن يطلبون منه يد المساعدة أو يستنجدون به فقد عرض المعتمد بن عباد ملك أشبيلية استدعاء المرابطين فوافقوا على تلبية هذا الاستنجاد، واعتبروه واجب على المسلم نحو أخيه المسلم[3]، وقبل عبور يوسف بن تاشفين إلى الأندلس طلب موافقته بالإمدادات فانتقل إلى سبتة[4] لنقل قواته إلى الأندلس ولما إجتمعت الحشود أمرها بالعبور إلى الجزيرة الخضراء[5] سنة 479هـ / 1086م وقبل وصول يوسف إلى الشمال رأى ضرورة تقسيم الجيش إلى معسكرين، معسكر أندلسي تحت قيادة المعتمد بن عباد والثاني مرابطي بقيادته وبوصولهما في بطليموس وقورية[6].

---

[1] المرابطون: سميوا بالملثمين وهم مسلمون بربر كانوا في الصحراء ثم وصلوا إلى الأندلس بعد أن شيدوا دولتهم في المغرب واتخذوا مراكش عاصمة لها، عبد اللطيف عصمت، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقية، دار الغرب الإسلامية، ط1، بيروت، سنة 1988، ص29.

[2] أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص270.

[3] مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دط، دم، دت، ص31.

[4] سبتة: هي مدينة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها على البحر وهي مدينة خصبة. إبن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص368.

[5] الجزيرة الخضراء تقع في أقصى الطرف الجنوبي لإسبانيا وهي مقربة على مضيق طارق. ينظر أحمد بن عمر بن أنس العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيح الأخبار وتنويع الآثار والبستان في عجائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الهوائي، المنشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965، ص117 – 120.

[6] قورية: تقع في الأندلس وهي قريبة من ماردة عرفت بحصانة أصوارها، محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة 1997م، ص58-57.

وعندما علم ألفونسو بأنباء وصول المرابطين رفع الحصار عن سرقسطة، وتحالف مع ملك أراغون وطلب المساعدة من جيرانه النصارى[1]، وعقب هذا التحالف أرسل المعتمد عيون لرصد أخبار العدو وإعلام جيوش المرابطين بها لجهلهم جغرافية المنطقة وفي سنة (12 رجب 479 هـ 23 أكتوبر 1086م) إلتقى الجيشان في سهل الزلاقة الذي يقع شمال بطليموس[2]، وتذكر الروايات في إختلاف تاريخ المعركة حيث يرى إبن الأثير أنها كانت في أوائل رمضان 479هـ/1086 م أما عبد الواحد المراكشي فيرى أنها كانت في رمضان 480 هـ / 1087 م في حين يتفق إبن أبي الزرع وصاحب الحلل الموشية أن التاريخ 479 هـ / 1086 م هو الرأي الراجح[3].

شهدت هذه المعركة في بدايتها ضعف وتقهقر الجيوش الأندلسية أمام هجمات المفاجئة للنصارى، وهنا ظن ألفونسو أن النصر أصبح حليفه لكن المرابطين خيبوا ظنه وحملو حملة الرجل الواحد، وحملو السلاح في ظهور النصارى وتذكر المصادر أنه قتل من النصارى يوم الزلاقة عدد كبير وأنه لم ينجوا من الجيش ألفونسو السادس سوى خمسة مئة فارس فروا معه فانتصر المسلمين في هذه المعركة، وبلغ صداها المغرب وإفريقية فعم الفرح بين المسلمين، وبعدها عاد يوسف بن تاشفين إلى المغرب لكن سرعان ما تجددت الصراعات بين ملوك الطوائف، وعاد النصارى إلى عدوانهم، فعاد المرابطين للمرة الثانية وكان ذلك سنة 481 هـ/ 1088 م[4].

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص373.

[2] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص272.

[33] ابن الأثيرالمصدر السابق، ج8، ص142، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ج8، ص62،61.
إبن أبي الزرع،المصدر السابق، ص147. مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص41-40.

[4] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص272.

وبعد أن خذلته جيوش الطوائف والتحالف مع النصارى عاد يوسف إلى المغرب ناقما وهو على يقين، لا بد إن أراد أن يحمي الوجود الإسلامي في الأندلس يجب عليه أن يبدأ بالقضاء على ملوك الطوائف ثم يتجه نحو النصارى[1]، لم يمضي عام آخر حتى عبر إبن تاشفين إلى شبه الجزيرة للمرة الثالثة وكان ذلك في سنة أوائل 483 هـ / 1090 م ولم تكن هذه المرة تلبية لدعوة أو استعانة وإنما كانت نتيجة قرار حاسم مفاده ضرورة تصفية ملوك الطوائف والإستلاء على الأندلس[2]، واستطاع أن يزيل معظم الطوائف الأندلسية وأخضع الأندلس إلى حكم المرابطين وقسمها إلى ستة ولايات: قرطبة، إشبيلية، غرناطة، فالنسيا، مورسيا، سرقسطة، وبذلك دخلت جميع ولايات الأندلس الإسلامية تحت لواء سلطان مراكش والتي عرفت بدولة المرابطين ماضين في جهادهم ضد النصارى في الأندلس وعاملين على بناء المغرب الإسلامي، قامت ثورة معارضة للمرابطين سميت بدولة الموحدين تحت زعيمها عبد الله المهدي بن تومرت[3].

المطلب الأول: علاقة المرابطين مع قشتالة

لقد طلب ملوك الطوائف يد المساعدة من المرابطين فلبوا لهم الطلب، وتمكنوا من عبور عدوة الأندلس وتوقف زحف ألفونسو السادس بحيث جرت معركة بينهما عرفت بمعركة الزلاقة[4] في سنة 479هـ /1086م، وفي ذلك يقول ابن الخطيب " وهذا ألفونش هو الذي

[1] عبد الله عنان، دولة الإسلام، المرجع السابق، ص333 – 336.

[2] المرجع نفسه، ص 337 – 339.

[3] المرجع نفسه ص349.

[4] كانت في يوم الجمعة 3 من رمضان (480هـ)، بين المرابطين والنصارى حيث إنهزموا فيها أمام المسلمين، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المرجع السابق، ص193-194.

طغى واستحوذ على ملوك المسلمين وضرب بين أمراء الطوائف إلى أن قمعه الله بلمتونة، هزمه هزيمة الزلاقة على يد يوسف بن تاشفين[1].

وبعد الهزيمة الأولى التي تلقاها القشتاليين في الزلاقة تلتها هزيمة أخرى في معركة تسمى بأقليش[2] سنة 501هـ / 1108م وقتل فيها عدد كبير ومن قتلاهم شانجه ابن ألفونسو السادس وفي هذا يقول ابن الخطيب ثم توفي في شهر يونيه 1147م فلم يترك ولدا[3].

وبعد وفاة ولي العهد شانجه كان ألفونسو السادس أن يولي العرش لإبنته أوراكه فورثها عرش مملكة قشتالة وليون وأشتوريس.

كما جعل ابنها ألفونسو السابع وريثا لعرش مملكته [4]وشهد هذا الأخير أثناء حكمه حربا أهلية جرت بينه وبين ألفونسو ملك أراغون ونبارة، ولكن ألفونسو المحارب احتفظ بملك قشتالة و أراغون بينما أوراكة أصبحت ملكة على ليون إلى غاية وفاتها في 520هـ / 1126[5] وبعد وفاتها أعلن ألفونسو السابع ملكا على جميع المناطق أطلق على نفسه لقب الإمبراطور[6] ويقول ابن الخطيب في هذا الشأن "وهو أول من تسمى إمبراطور ومعناه سلطان السلاطين"[7]، بحيث استمرت الحرب الأهلية بينه وبين زوج أمه السابق إلى غاية وفاته في

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المرجع السابق، ج2، ص331.

[22] معركة جرت بين جيش المرابطين والنصارى وانتصر فيها المرابطون، ينظر: أبو العباس أحمد الفاسي ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المخرب وملوك فاس، دط، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص159-160.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام،المصدرالسابق، ج2، ص330.

[4] عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص583.

[5] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المرجع السابق، ص 330.

[6] إ. ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر: السيد عبد العزيز سالم، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990، ص 176-178.

[7] ابن الخطيب,المصدر نفسه ص331.

عام 528هـ / 1134م. وبعد توطيد سلطان أعلن الحرب على المسلمين إلى غاية وفاته في 552هـ / 1157م[1].

وفي الفترة الممتدة من (483هـ / 523هـ) إستطاع المرابطين الهجوم على مدينة طليطلة عاصمة قشتالة واسترجعت بعض المدن والحصون المحيطة بها، وفي سنة (523هـ / 542هـ) وبعد أن خسرت القوات المرابطية في معركة القلاع عام 523هـ أمام هجمات قوات مملكة أراغون، فقد بدأت قوات مملكة قشتالة بتكرار الهجوم على المدن الأندلسية، فقد هاجمت قرطبة عدة مرات في سنة (524هـ/1130م) وفي سنة (528هـ /1133م) وفي سنة (536هـ / 1142م) ثم في سنة (538هـ / 1143م) كما هاجمت إشبيلية والمدن المجاورة لها سنة (526هـ / 1132م) وفي سنة (546هـ / 1145م) وفي سنة

(538هـ / 1143م) وقامت بمهاجمة بطليموس وغرب الأندلس سنة (528هـ / 1143م) وفي سنة (536هـ / 1143م)[2].

المطلب الثاني: علاقة المرابطين مع أراغون

وبعدما تمكن ألفونسو المحارب من توحيد مملكة أرغون مع قشتالة وليون دفعه هذا إلى رغبته في التخلص من المسلمين و وجه أنظاره للسيطرة على سرقسطة، لكنه فشل في الاستيلاء عليها[3] وفي سنة 504هـ / 1111م قاد جيشا ضخما محاصرة سرقسطة لكنه فشل في ذلك واضطر إلى العودة إلى بلاده.

[1] عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص128-129.

[2] ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص178.

[3] ابن عذارى،المصدر السابق، ج4، ص55.

وفي سنة 513 / 1120م تمكن ملك أرغون بالإستلاء على طرسونة " tarazona " وقطعة أيوب وتطلية [1]وفي رمضان 528هـ جرت بين ألفونسو المحارب وبين المسلمين معركة إنهزم فيها ألفونسو المحارب.

في عام 468هـ / 1134م استطاع ألفونسو المحارب أن يوحد مملكة أراغون ونبارة لكنه في سنة 528هـ / 1134م انفصلت نبارة عن مملكة أرغون بعد وفات ألفونسو المحارب وعند وفاته لم يترك وريثا للعرش لذلك خلفه أخوه رميرو [2]لأنه تنازل عن العرش لصالح ابنته وفي هذا الصدد يقول ابن الخطيب:" ملكت بعد ابنته وصيرت الملك إلى زوجها دون ريموند فملك أرغون " [3]وكان ريموندە ملك برشلونة بحيث توحدت مع أرغون بعد توليته عرشها[4].

حيث تمكن ريموند من عقد إتفاق بينه وبين ملك قشتالة ألفونسو السابع وملك البرتغال ألفونسو هورنيكز على توحيد جهودهم وعلى إثر هذا الاتفاق شارك ريموند في حملت قادها ألفونسو السابع وتمكن من الاستيلاء على ألميرية سنة 542هـ / 1147م[5] وتمكنوا من محاصرة طرطوشة[6] ثم لاردة [7] وأمام هذه التوسعات واجه ريموند مشاكل داخل مملكته فخلفه

[1] ابن أبي الزرع،المصدر السابق، ص163.

[2] أبي القاسم محمد بن أبي العلاء ابن السماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص155.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المرجع السابق، ص337.

[4] هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص320.

[5] ابن الأثيرالمصدر السابق، ج9، ص17.

[6] طرطوشة: مدينة تقع على نهر إيبيرو وتفصل بالبلنسية، ينظر: الإدريسي، المرجع السابق، ص 734.

[7] لاردة: تقع على نهر الزيتون خرجت من أيدي المسلمين (544هـ – 1149م)، ينظر: نفسه، ص733.

على العرش إبنه ألفونسو الثاني [1]وفي هذا يقول ابن الخطيب " ثم هلك يعني ريموند فولى بعده دون ألفنش قمز برجلونة "[2].

وفي سنة 559هـ / 1164م تنازلت له أمه عن جميع حقوقها في مملكة أغون بعدما ورث عن أبيه حكم برجلونة[3] وبعد وفاته خلفه إبنه الذي إستولى على مدينة بلنسية [4]وكان سقوطها عام 636هـ / 1238م وبسقوط بلنسية توالت المدن الإسلامية في السقوط واحدة تلوى الأخرى، وكان ذلك سببه التعاون مع مملكة البرتغال في طرد المسلمين من الأندلس وبعد وفاة جاميس الأول خلفه في الحكم ابنه بطره[5].

المبحث الثاني: علاقة المماليك المسيحية بالموحدين

ظهر الضعف في أواخر أيام دولة المرابطين، نتيجة لأكثر من عامل، وهذا ما أدى إلى ظهور دولة الموحدين المعارضة للمرابطين، ما جعل قيام بعض الفتن والثورات فيما بينهما فاستغل النصارى هذا الصراع، وكان على الدولة الموحدين بالمغرب توجيه أنضارها إلى الأندلس.

قامت جماعة تدافع عن الفهم الواضح والتوحيد الخالص وصفاء العقيدة وأطلقت على نفسها اسم الموحدون يرفضون كل ما يسيء إلى عقيدة التوحيد كل هذه الأمور دعا الموحدون إلى تصحيحها بالإسلام والعودة بالمسلمين إلى القرآن والسنة[6].

---

[1] هشام أبو رملية، المرجع السابق، ص323.

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام،المصدر السابق، ص337.

[3] هشام أبو رملية، المرجع نفسه، ص324.

[4] بلسنة: دار علم وأدب أعاد بنائها يوسف بن تاشفين بعد تخريبها من قبل النصارى، ينظر: مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، المرجع السابق، ص73-74.

[5] علي حسين الشطئط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دط، دار قباء القاهرة، 2001، ص61.

[6] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص456.

مرت دولة الموحدين بمرحلتين أولها مرحلة أبي عبد الله محمد بن تومرت وقد بدأت هذه المرحلة من سنة 510 هـ / 523 هـ وقد بدأ ابن تومرت دعوته على أساس ديني قوامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أساس الصراع القبائل البربرية[1]، فكان نشأة دولة الموحدين في المغرب بعد إمتلاكها مكان دولة المرابطين، وهذا ما أدى إلى وقوع حرب بين الدولتين، توفي فيها إبن تومرت سنة 524 هـ فأوصي بالأمر من بعده لعبد المؤمن، فدخل الموحدون مدينة فاس سنة 540 هـ ومدينة مراكش في العام الموالي واتخذوها عاصمة لهم[2].

أما المرحلة الثانية فكانت بقيادة عبد المؤمن بن علي 524 هـ / 543 هـ والتي توجت بسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين 541 هـ عبر الموحدين إلى الأندلس[3]، كان أول جيش أرسله الموحدين إلى الأندلس سنة 541 هـ / 1146م وذلك لإزالة ما تبقى فيها من المرابطين[4] ولعل من أبرز الأسباب التي دفعت الموحدين إلى ذلك هو الحفاظ على كيان الإسلامي وبلاد الأندلس بالإضافة إلى الحفاض من الكيان عدوة المغرب من مهاجمة المرابطين لها[5]، كما توجه بنفسه في سنة 555 هـ / 1160 م فكان إهتمامه أكثر للأندلس فبنى مدينة بجبل طارق ثم عاد عبد المؤمن إلى المغرب بعد أن نظم أحوال الأندلس، وجعل من غرناطة مركزا دفاعيا قويا كما نقلت العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة سنة 557 هـ /

[1] عبد القارد قلاتي، المرجع السابق، ص131.

[2] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص457.

[3] عبد القادر قلاتي، المرجع نفسه، ص131.

[4] عبد الرحمن الحجي، المرجع نفسه ص458.

[5] عبد القادر قلاتي، المرجع نفسه، ص132.

1162 م[1]، بعد وفاة عبد المؤمن بن علي 558 هـ / 1163 م، خلفه يعقوب بن المنصور وهزم ألفونسو الثامن ملك قشتالة في معركة الأرك[2]، فهزمت جيوش ألفونش، كما قام الخليفة الموحدين بإنجازات أخرى كتنظيم الأندلس وإقرار بعض الإصلاحات والإنشاءات العمرانية[3]، وفي السنة الموالية توفي الخليفة المنصور وخلفه إبنه أبو عبد الله محمد الملقب بالناصر والذي دخل بدوره الأندلس 608 هـ / 1211 م وإلتقى الناصر بجيش ألفونسو الثامن عند حصن العقاب، سنة 609 هـ/ 1212 م[4].

[1] عبد الرحمن الحجي، المرجع نفسه، ص 485.

[2] الأرك: بالإسبانية وهو حصن يقع على حدود مملكة قشتالة، ينظر: ادريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص15.

[3] عبد الرحمن الحجي، المرجع نفسه ص459 – 464.

[4] حصن العقاب: تسمى معركة العقاب وتقع بواد سموه الأسبان نافاش قرب بلاد تولوسا ولهذا سميت بمعركة لاس نافا سدي تولوسا، ينظر: ادريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص17.

المطلب الأول: علاقة الموحدين مع قشتالة والبرتغال

الفرع الأول: علاقة الموحدين مع قشتالة

بعد وفاة ألفنش (ألفونسو السابع) قام بتقسيم مملكته إلى قسمين ويقول ابن الخطيب في ذلك: " ثم قسم ملكه إلى قسمين فأعطى ملك قشتالة ولده شانجه وتسمى باسم الملك في حياة أبيه خمس سنين، وأعطى ملك ليون غرسية ولده دون فرانده ثم استمرت أيام دون شانجه، قشتالة ولده شاجنه بعد موت أبيه عاما واحدا"[1].

وبعد وفاة شانجه في عام 1185م ولم يكن هناك وريثا ليحكم عرشه سوى طفل في الرابعة من عمره وهو ألفونسو الثامن[2].

وفي عهده عقد الموحدون معاهدة لمدة خمس سنوات 586هـ – 591هـ ولما انتهت هذه المعاهدة بدأ ملك قشتالة بمهاجمة الأراضي الإسلامية فعبر إليه المنصور الموحدي بجيوش كبيرة فكان اللقاء قرب حصن الأرك قرب قلعة رباح سنة (691هـ 1195م) فانتصر فيها الموحدون وافتتحوا حصن الأرك ولحقت الهزيمة بالقشتاليين وفي سنة 595هـ توفي المنصور، فخلفه ابنه الناصر لدين الله 595هـ – 610هـ بحيث بدأ ألفونسو بمهاجمة الأراضي الأندلسية فعبر إليه الناصر سنة 607هـ 1211م فالتقى الجيشان، انتهى اللقاء بهزيمة جيش الموحدين وتشتت قوتهم، وعاد الناصر إلى مراكش وتوفي سنة 510هـ – 1213م[3].

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المرجع السابق، ص332.

[2] ألفونسو الثامن عندما بلغ إحدى عشر سنة من عمره عين ملكا على قشتالة وبدأ الحكم فعليا عندما بلغ الرابع عشر من عمره، وذلك في سنة (1172م)، ينظر: عبد الله عنان، دولة الإسلام، المرجع السابق، ص583.

[3] عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص139.

خلف الناصر إبنه أبو يعقوب المستنصر بالله (610هـ – 620هـ) الذي عقد معاهدة سلم مع قشتالة، وقد خسرت الأندلس في هذه الفترة الكثيرة من مدنها.

قام ملك قشتالة بمهاجمة الأراضي الأندلسية، فتصدت له القوات الأندلسية (الموحدية) قرب طلبيرة 578هـ، وبعدها عبر الخليفة إلى الأندلس واتجه صوب شنترين ونازلها عدة معارك فأصيب في المعركة وتوفي في ربيع سنة 580هـ – 1184م[1].

الفرع الثاني: علاقة الموحدين مع البرتغال

في الوقت الذي كان يحكم فيه ألفونسو هنريكي دخل الموحدون بلاد الأندلس[2] فخلفه أخوه دون ألفنش في الحكم وتمكن من الاستيلاء على ترجالة ويابرة وحصني شبرينة وحلمانية قرب بطليموس غرب الأندلس[3].

بحيث تمكن الموحدون من الإنتصار على حليف البرتغال ابن مرنيش، فتراجع وتحصن بمرسية فحاصر الموحدون ابن مرنيش حتى إن توفى في رجب 567هـ – مارس 1172م[4] فخلفه في الحكم ابنه وفي ذلك يقول ابن الخطيب :" ثم ملك بعده أي دون ألفنشدونيش ابن الدوقالفنش " وكان دونيش يلقب بسانشو الأول عقب وفاة والده سنة (581هـ – 1185م) وفي عهده خسرت البرتغال العديد من الحصون الواقعة على الحدود مع ليون، وكانت بين سانشو الأول وملك قشتالة ألفونسو التاسع علاقة صداقة وتحالف [5].

[1] عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص139.

[2] عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي الموصود إلى الفردوس المفقود، دط، دار النهضة العربية، لبنان، سنة 2002، ص258.

[3] نفس المرجع، ص259.

[4] ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص139.

[5] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص337.

وبعد وفاته خلفه ابنه دون ألفنيش (ألفونسو الثالث) وقد عاصر ألفنش (ألفونسو الثالث) خامس حكام بني نصر، ويقول ابن الخطيب في هذا الشأن: " ثم ملك بعده أي بعد دونيش، دون ألفنش "[1].

ويفهم من هذا النص أن تدخل ألفنش ملك البرتغال هو الذي قلب الموازين لصالح قشتالة. وهذا ما جعل القشتاليون ينتصرون على المسلمين.

ومنذ نشأة هذه المملكة أصرت على استقلاليتها وظلت على هذه الحال، وهذا ما جعلها تحت أطماع لممالك النصرانية، الذين نشأت بينهم العدواة[2].

الفرع الثالث: دولة بني الأحمر

بعد نهاية العصر الموحدي الذي أدى إلى سقوط القواعد الأندلسية بما يعرف مملكة غرناطة الكبرى ظهرت بما يعرف مملكة غرناطة بعد أن سقطت أهم حواضر الأندلس بيد الإسبان، كانت معظم الأندلس في النصف الأول من القرن 07هـ / 13م في يد محمد بن يوسف بن هود الذي تغلب على شرق الأندلس وقد تصدى له محمد بن يوسف بن نصر الذي يعرف بالشيخ وتم مبايعته سنة 629هـ / 1232م ثم إستولى على غرناطة وإتخذها عاصمة لملكه 635هـ / 1238م وانحصرت هذه المملكة في جنوب الأندلس بين نهر الوادي الكبير شمالي والبحر المتوسط جنوبا[3]، وشملت هذه المملكة ثلاث ولايات كبيرة [4]هي:

---

[1] هشام أبو رملية، المرجع السابق، ص311.

[2] ابن الخطيب، أعمال الأعلام،المصدر السابق، ص337.

[3] عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني 633هـ / 962هـ / 1235م 1554م مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 1428هـ 1429هـ / 2007م 2008م، ص15.

[4] عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص141.

غرناطة وأهم مدنها غرناطة لوشة ووادي آش[1].

مالقة أهم مدنها مالقة رندة[2] الجزيرة الخضراء جبل طارق[3].

ألميرية وأهم مدنها ألميرية برجة بيرة[4].

أما مدينة ميورقة فلم تدخل إلا في سنة 663هـ / 1264م[5]، بحيث استطاع بنو الأحمر الاحتفاظ بما أزيد من قرنين ونصف من الزمان[6]، توالى على حكمها حوالي عشرون حاكما وكان شعار بني الأحمر لا غالب إلا الله[7].

عرفت مملكة غرناطة التحاق العديد من المهاجرين إليها بعد استلاء النصارى على بعض المدن و الحصون كبلنسية ومرسية[8]،جيان وإشبيلية وقرطبة وغيرها، بحيث واجه بنو الأحمر عدة مشاكل وصعوبات لعل من أبرزها الثورات المناهضة له من جهة وإغارة النصارى على المدن والحصون التي إستولى عليها[9]، ظهرت بغرناطة شخصيات سياسية ذات كفاءات

[1] وادي آش: عمارة عن الوصف تجمع فيه طرق كثيرة مشيدة بين الجبال أهلها أهل البادية، ينظر: عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص15.

[2] رندة: إحدى معاقل الأندلس الممتعة وقواعدها السامية والمرتفعة، ينظر: نفسه، ص15.

[3] جبل طارق: يسمى جبل الفتح لأن طارق بن زياد لما جاز الأندلس تحصن بهذا الجبل ومن معه من جيش، ينظر: نفسه، ص15.

[4] المرجع نفسه، ص15.

[5] ادريس بن مصطفى، المرجع السابق، ص46.

[6] عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص141.

[7] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص515.

[8] مرسية: مدينة بالأندلس اشتهرت بصناعة الزجاج الذي كان يصدر لمختلف البلدان، ينظر: عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص16.

[9] نفس المرجع، ص16.

عالية ساهمت في بناء هذه المملكة ونذكر[1]، على سبيل المثال محمد بن يوسف بن نصر (635

-671هـ / 1238-1272م) أول السلاطين بني نصر ومحمد الثاني المعروف بالفقيه (671-701هـ / 1272-1302م) وإسماعيل ابن فرج (713-725هـ / 1313م 1324م) ويوسف الأول أبو الحجاج بالله (733-755هـ / 1333-1354م) أما آخر سلاطين بني نصر فهو محمد أبو عبد الله، الذي حاصر الإسبان عاصمة غرناطة واضطر تسليمها 897هـ / 1492م[2].

لقد دامت مملكة غرناطة مدة زمنية ما يقارب أو يزيد عن القرنين ونصف من الزمن أمر يدعي للاستغراب، رغم صغرها وقلة سكانها، محافظة على ما تبقى من المسلمين وبسقوطها انتهى الحكم الإسلامي بالأندلس الذي دام أكثر من ثمانية قرون.

المطلب الثالث: علاقة مملكة قشتالة بمملكة غرناطة

كانت العلاقات في بادئ الأمر يسودها نوعا من الهدوء وعقد المعاهدات، لكن ظروف كل مملكة كانت وراءها دوافع، وهذا ما أدى إلى ظهور صراعات بين الطرفين.

كان الشيخ محمد (الأول) بن الأحمر، مؤسس مملكة غرناطة، يحاول تجنب الاصطدام بإسبانيا النصرانية[3]، لكن في سنة 660هـ / 1261م قامت مملكة قشتالة بمهاجمة مملكة غرناطة، إلا أن قوات بني الأحمر بمساعدة المجاهدين من المغرب استطاعت أن تهزم قوات

[1] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص516.

[2] عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص16-17.

[3] عبد الرحمن الحجي، المرجع نفسه ص535.

العدو، فأثار هذا الأمر ملك قشتالة ألفونسو العاشر فضاعف الجهود وسيطر على عدة حصون فاستغاث بنو الأحمر بأهل المغرب وتونس[1].

عقد في 665هـ / 1276م معاهدة سلم بين غرناطة وألفونسو العاشر، ابن الأحمر[2] عن مدينة شريش وعدد من الحصون[3]، وقبيل وفاة ابن الأحمر سنة 671هـ / 1272م، عاد ألفونسو العاشر إلى مهاجمة مملكة غرناطة، فطلب ابن الأحمر النجدة من السلطان المغربي أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور، لكن النجدة لم تصل إلا بعد وفاته، فوصلت أيام محمد الثاني الملقب بالفقيه[4].

أرسل السلطان المغربي جيشا عبر جزيرة طريف سنة 633هـ / 1275م، ثم لحق السلطان في السنة الموالية، فكانت معركة سنة 674هـ / 1275م، فانتصر الجيش الإسلامي بقيادة السلطان المغربي وانهزمت الجيوش القشتالية، ورجع السلطان المغربي إلى المغرب، بعد أن ترك ثلاث آلاف فارس لمعاونة مملكة غرناطة في رد هجمات قشتالة[5].

وبعد اغتيال إسماعيل الأول 725هـ / 1325م خلف محمد الرابع (725 – 733هـ / 1325 – 1333م) وفي عهده استطاع مسلمو غرناطة بالتعاون مع بني مرين من استعادة جبل طارق سنة 733هـ / 1353م، بعد أن سيطر عليه الجيش القشتالي منذ سنة 709هـ / 1310م وبعد اغتيال محمد الرابع خلفه أخوه يوسف الأول (433هـ – 755هـ / 1333م – 1354م)، وفي عهده حدثت معركة بحرية سنة 740هـ / 1340م انهزم فيها المسلمون، واشتركت فيها قوات قشتالة وأرغون والبرتغال.

---

[1] عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص141.

[2] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، 535 – 536.

[3] عبد القادر قلاتي، المرجع نفسه، 141.

[4] عبد الرحمن الحجي، المرجع نفسه، ص141.

[5] عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص142.

استنجد سلطان بني الأحمر بالمرنيين فعبر سلطانهم إلى الأندلس[1] فنشبت معركة بين الموحدين في جمادى الأول سنة 471 هـ / 1340م، فهزم المسلمون في هذه المعركة وارتكب القشتاليون المناكر في المعسكر الإسباني وغنموا ما فيه، وجرت هذه المعركة قرب طريف ولهذا سميت معركة طريف[2].

بعد اغتيال يوسف الأول سنة 755هـ / 1354م، خلفه يوسف الثالث (810هـ – 820هـ / 1408 – 1417م)، جدد علاقات المودة بين قشتالة وغرناطة لمدة سنتين لكن بعدها رفض القشتاليون تجديد الهدنة، فسيطروا على بعض الحصون وأصبح السلطان تابعا لهم.

كان سقوط جبل طارق بيد القشتاليين سنة 827هـ / 1462م على عهد السلطان سعيد بن اسماعيل (858هـ – 868هـ / 1454م – 1464م)، وهذا ما أدى إلى بداية ضعف الدولة المرينية التي سقطت سنة 869هـ / 1464م وحلت محلها دولة بني وطاس[3].

تولى حكم غرناطة أبو عبد الله الصغير سنة (887.–888 هـ/1482.1483م) الذي خاص

معركة ضد القشتاليين وانتصر فيها المسلمون ثم قاد جيشا واتجه نحو قرطبة وانتصر في عدة معارك، لكنه أسر في معركة عند قلعة اللسانة "Lucena"، ثم تولى حكم غرناطة والده أبوالحسن علي (888–890 – هـ / 1485م) .

أطلق سراح أبي بد الله محمد الحادي عشر سنة 890هـ / 1485م، بعد اتفاق لصالح قشتالة،

[1] عبد القادر قلاتي، المرجع السابق، ص143.

[2] عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص543–544.

[3] عبد القادر القلاتي، المرجع نفسه ص143.

فكان الأنقسام داخل غرناطة ثم نشبت حرب بين العم وابن أخيه وانتهت بتقسيم مملكة غرناطة .

وبعد أن سقطت الحصون والمد ن الأندلسية في يد الإسبان بقيت سوى غرناطة فأرسل الإسبان إلى السلطان أبي عبد الله يطلبون تسليم غرناطة ولكنه رفض ذلك وفي سنة 897هـ/1491م حاصر الإسبان مدينة غرناطة، فكان على هذه الأخيرة الاستسلام، فأرسل الوزير أبو القاسم بن عبد الملك للمفاوضة وتم توقيع معاهدة في الربيع الأول سنة(1492/897م) .

وترك اخرملوك غرناطة أبو عبد الله محمد الحادي عشر و اتجه نحو منطقة البشرات ثم عاد بعدها إلى مدينة فاس التي توفي بها سنة 490هـ . 1534م وهكذا انتهت الأندلس .

وكانت العلاقات بين مملكة غرناطة ومملكة قشتالة يسودها التوتر والقلق والاضطراب وهذا ما أدى الى نشوب الحروب فيما بينهما والذي جعل الإسبان تتخذ فيما بينها وتقلبها على غرناطة.

الفصل الثالث

نهاية غرناطة آخر معاقل المسلمين

وحروب الإسترداد المسيحية

المبحث الأول: مملكة غرناطة

المطلب الأول: نبذة حول تأسيس مملكة غرناطة

الفرع الأول : موقع مملكة غرناطة وحدودها

غرناطة أو إغرناطة[1] إسم قديم يرجع إلى عهد الروم والقوط، وقد اختلف آراء الباحثين في أصل التسمية[2]، وقيل إن الصواب أغرناطة بالهمز ومعناها بلغتهم الرمانة وكفاها شرفا ولادة لسان الذين بها[3].

وسميت بذلك كونها ذات طبيعة جمالية عالية لا تقدر بوصف تحيط بها الحدائق والمروج وبساتين الرمان الكثيرة المنتشرة حولها، وقيل أنها سميت كذلك لأنها الرمانة المشقوقة بموقعها وانقسامها على التلين، فتبدو منازلها الكثيفة وسط هذا المشهد كرمانة المشقوقة[4]، ويرى البعض أنها ترجع إلى أصل بربري مشتق من اسم إحدى القبائل[5].

كانت غرناطة عند قيامها في منتص القرن السابع هجري تحتوي على القسم الجنوبي من الأندلس القديمة[6]، وتمتد فيها وراء نهر الوادي الكبير إلى الجنوب حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ومذيق جبل طارق، ويحدها من الشمال ولاية جيان وقرطبة واشبيلية، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطئ البحر الممتد منها إلى الجنوب، ومن الغرب ولاية قادس وأرض

---

[1] محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج3، القاهرة، مكتبة خانجي، ط1، 1997، ص22.

[2] المقري التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مجلد 1، تر: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1988،(ب . ت)،ص147.

[3] عبد الحكيم الذنوب: آفاق غرناطة، دار المعرفة، ط1، 1988، ص32.

[4] عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مصر، مكتبة الخانجي، ط2، 1990، ج4،3، ص22.

[5] م،ع عنان، المرجع السابق، ص55.

[6] كانت غرناطة وقت افتتاح الاندلس، مدينة صغيرة من أعمال ولاية ألبيرة تقع على مقربة من مدينة البيرة قاعدة الولاية من الناحية الجنوبية إفتتحها المسلمون عقب انتصارهم على القوط، بقيادة بن زياد فاتح الأندلس في موقعة شريش في رمضان سنة 22 هـ، يوليو سنة 711م، أنظر، م ع. عنان المرجع السابق، ص22.

الفرنتيرة، وكانت عندئذ تشمل ثلاث ولايات[1]. ولاية غرناطة في الوسط وفيها العاصمة غرناطة، وولاية المرية في الشرق، وولاية مالقة في الجنوب وفي الغرب[2]، ولاية غرناطة الواقعة في الوسط والممتدة جنوبا حتى البحر، وأهم مدنها العاصمة غرناطة وادي آش وبسطة وأشكر وحصن اللوشة والحامة وأرحبة والمنكب وشلوبانية، وولاية المرية تمتد من ولاية مرسية حتى البحر وأهم مدنها ثغر المرية وبيرة والمنصورة وبرشانة وبرجة وأندرش، وتقع ولاية مالقة وهي تقع على البحر غربي غرناطة، وأهم مدنها ثغر ملقة وبلش ملقة وطرش وقمارش وأرشدونة وأنتقيرة ورندة ومربلة، ويلحق بها جبل طارق والجزيرة الخضراء وطريف[3].

يقدر طول هذه الملكة من الشرق إلى الغرب حوالي 200 كلم، ويتراوح ارتفاعها على مستوى البحر ما بين 650م كحد أدنى و750م كحد أعلا وتبعد عن البحر ب70 كلم.[4]

ومدينة غرناطة وهي مدينة مستديرة مرتفعة على سفح جبل شلير يحده من الشمال نهر شنيل 11 كلم المرتفع من الودي الكبير ويشقها نهر حدره وهو نهر صغير تطل عليه هضبة الحمراء وجنة العريف[5].

لقد وهبت الطبيعة مملكة غرناطة جبالا شامخة مثل جبال البشرات وجبال سيير نيفادا أي جبال الثلج وكان الاندلس يسمونها جبال شلير، تتوزع مباني هذه المدينة على هضبتين مرتفعتين بإحداهما يوجد القصر الملكي المسمى القلعة الحمراء وفي الهضبة الأخرى توجد

---

[1] محمد، عبد الله، عنان: المرجع نفسه، ص55.

[2] ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة بأخبار غرناطة، مكتبة خانجي، القاهرة، ط1، 1484، ص119.

[3] محمد، عبد الله، عنان: المرجع نفسه ص55.

[4] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة حضارية، بيروت، دار الجيل، ط1، 1993، ص169.

[5] أحمد مختاري العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الإسكندرية، منشأ المعارف، ط1، 2000، ص230.

القصبة يحيط بها صور مرتفع يتخلله إثنا عشر باب، يحصنه ألف وثلاثون برجا أكسبها حصانة طبيعية جيدة[1].

ولا شك أن هذه الجبال قد جعلت من غرناطة قلعة حصينة يسهل الدفاع عنها، كذلك وهبت الطبيعة مملكة غرناطة ساحلا طويلا على البحر المتوسط يمتد من الراية شرقا إلى جبل طارق والجزيرة الخضراء جنوبا، وهذا جعلها دولة بحرية من دول البحر الأبيض المتوسط، كما عرفت هذه المنطقة الساحلية باسمها القديم وهو البلاد البحرية التي ضلت عامرة بالأساطيل ودور المصناعة والحارس والرباطات التي ورثتها عن الأسلاف القدامى منذ أيام الأموين، المرية وشلوبين والنمكب ومالقة العاصمة الثانية بعد غرناطة ومربلة ثم جبل طارق والجزيرة الخضراء مفتاح الأندلس من المغرب وهي تقابل على الساحل المغربي لمدينة سبتة من الأندلس، وقد أشار المؤرخ المعاصر ابن فضل الله العسري (ت 748 هـ) وصفا قيما لأسطول غرناطة ونشاطه وقواعده في هذه المنطقة بقوله: وبلاد البحرية حراريق للغزو في البحر الشامي يركبها الأنجاد من الرماة والمغاورين والرؤساء والمهرة، فيقاتلون العدو على ظهر البحر وهم الظافرون في الغالب، ويغيرون على بلاد النصارى بالساحل أو بقرب الساحل، فيستأصلون أهلها وذكورهم وإناثهم، ويأتون بهم إلى بلاد لمسلمين فيبرزون بهم ويحملونهم إلى سلطان غرناطة، فيأخذ منهم ما شاء ويهدي ويبيع، وفي جنوب غرناطة تقع موجه الخضراء الطبيعية التي تسمى بقاع ومنها جاءت التسمية الإسبانية VEGA بقعة، LOS VEGAS البقاع التي انتقلت إلى أمريكا، وكانت قلعة مدينة غرناطة هي مقر الحكم والسلطان وتقع على هضبة مرتفعة تعرف باسم الحمراء نسبتا إلى لون تربتها وقد

---

[1] الشريف الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح وتع: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص291.

انتقل هذا الاسم بلغته الدراجة إلى الإسبانية على شكل La Alhambra ، أما ملوك بني نصر أو بني الأحمر [1]ملوك غرناطة[2].

وقد استمر هذا اللون الأشقر الضارب إلى الحمرة، ويظهر في أمراء هذه الأسرة مثال ذلك السلطان محمد السادس الملقب بالبرميخو ومعناها اللون البرتقالي الضارب إلى الحمرة، لون شعره ولحيته[3].

ومن هذا نرى أنه ليس هناك علاقة بين اسم الحمراء وبين اسم بني الأحمر، فتشابه الاسمين محض مصادفة لأن اسم الحمراء يرجع إلى لون تربتها التي بنيت عليها القلعة، بينما برجه بني الأحمر إلى الشقرة فيهم، ومن الطريف أن ملوك بني الأحمر إتخذوا من هذا اللون الأحمر شعارا لهم في لون أعلامهم وقصورهم وقبائلهم بل في لون الورق الذي يكتبون فيه عليه رسائلهم السلطانية وفي ذلك يقول شاعر الحمراء عبد الله بن زمرك في مدح الملك محمد الخامس الغني بالله (ق7 / ق14م).

وترى القباب الحمراء ترفع للندى وترى العمائم تحتها كالأنجم

ويقول أيضا:

أعلام الحمر فوق السفن خافقة وريح سعدك يجريها على القدر[4]

---

[1] بنو الأحمر: أصلهم من أراجونة من حصون قرطبة لهم سلف من أبناء الجند ويعرفون ببني نصر وينتسبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج، كانت لهم وجاهة وسيادة في قرطبة، أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج7، مج4، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981، ص366.

[2] ابن أبي زرع، علي بن عبد الله، ت726هـ / 1325م. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، دار المنصور، للطباعة والوراقة، د "، 1972، ص229-230.

[3] المرجع السابق، 1981، ص231.

[4] عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، بيروت، دار القلم، ط2، 1981م، ص231.

الفرع الثاني: التطور السياسي لمملكة غرناطة 636هـ - 867م / 1239م – 1462م

كانت مملكة غرناطة الإسلامية بالأندلس من المناطق المتبقية للمسلمين في الطرف الجنوبي من الجزيرة الإيبيرية، وقد اعتبر من الغرائب استمرار مملكة غرناطة هذه المدة رغم صغرها وقلت عدد سكانها محافظة على ما بقي للمسلمين من سلطان سياسي ووجود حضاري معطاء[1]،يعود تأسيس غرناطة إلى القرن الحادي عشر ميلادي حين تصاعدت وحدة الأندلس في عهد ملوك الطوائف والأمراء ومن بينهم قائد من المغرب اسمه زيري بن منان الذي أتى مع عدد كبير من الصنهاجيين، ثم وقعت الفتنة في أوائل القرن الحادي عشر ميلادي، قاومت الحرب الأهلية الكبرى بين قادة الخلافة، وبعد فترات متطاحنة لجأ زيري وابن أخيه حبوس إلى غرناطة واتخذها عاصمة له، وأتم عملية تنظيم وتعمير وتجميل غرناطة فأعاد بناء أسوارها وأبراجا وبنيت المساجد والقصور، وفي فترة المرابطين حكم يوسف بن تاشفين 483هـ / 1090م، بقيت المدينة تحت ولايتهم حتى سنة 551هـ / 1166م، حينها آلت إلى حكم الموحدين[2].

لكن بعد فترة شهدت الدولة الموحدية اضطرابات، وفي هذه الآونة ظهر زعيم أندلسي هو محمد بن يوسف بن هود الجذامي الذي استطاع أن ينتزع غرناطة من المأمون وذلك سنة 628هـ / 1232م، وبعد وفاة المأمون سنة 629هـ / 1232 م، كان في الأندلس إلى جانب إبن هود أمير يدعى محمد بن الاحمر النصري وكانا في نزاع مستمر على السلطة، إلا أن

---

[1] الوزان حسين بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، تر: محمد الحجي، محمد الأحضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1383، ج2، ص517-518.

[2] الذنون عبد الحكيم، آفاق غرناطة، بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، سوريا، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 1988، ص35-37.

ابن هود لم يعمر طويلا وتوفي في المرية وهناك من يقول أنه قتل وذلك بسنة 635هـ / 1238م[1].

أما المؤسس الأول لمملكة غرناطة في عهد بني الاحمر هو القائد العربي الغالب بالله الشيخ محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر الذي كان في الأصل حاكما على بلدة أرجونة في إقليم جيان ثم استولى على سلطة بازا ووادي آش ومالقة وغرنالطة التي اتخذها مقرا لحكمه سنة 635هـ / 1238م وقد أشاد المؤرخون بشجاعة هذا القائد وجهاده في مغاورة العدو[2]. وبعد وفاة السلطان محمد الشيخ خلفه ابنه محمد الثاني الملقب بالفقيه 671 – 701هـ / 1273 – 1308م استطاع الحفاظ على نوع من الهدوء والاستقرار[3].

ثم خلفه بعد حكم دام ثلاثون سنة خلفه ولده أبو عبد الله المخلوع الذي كان ضريرا، لم يكن رجل دولة وساءت أمور الدولة الداخلية فثار عليه أهل غرناطة[4]. تنازل لهم عن الحكم وغادر غرناطة إلى المنكب، توفي هناك سنة 708هـ / 1309م[5]. وبايعوا مكانه أبا الجيوش نصر وكان أديبا ولوعا بالرياضيات والفلك ولكنه لم يحسن تدبير الدولة فتوالت الأزمات[6]، أرغم نصر عن التنازل عن عرش غرناطة سنة 713هـ / 1314م ليتولى أمرها إسماعيل

---

[1] محمد عبد الله عنان، الإحاطة في أخبار غرناطة، مكتبة الخانجي، ط1، سنة 1974، مج 4،2،1، ص32.

[2] المغاور: أي المحارب الذي يغير على الحدود المجارة وقد انتقلت إلى اللغة الإسبانية بلفظها ومعناها وسارة اسم لفرق المشاة الجبلية التي كانت تتبع مملكة أرغون، أنظر: أ.م العبادي: صور، المرجع السابق، ص232

[3] لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة الناصرية، القاهرة، 1347، ص42.

[4] علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005، ص40.

[5] تذكر بعض الروايات أن أخاه نصر هو الذي دبر له مكيدة قتله، أنظر ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص66.

[6] علي . المنتصر الكتاني: المرجع السابق، ص40.

الأول 713 – 725هـ / 1314 – 1325م الذي اشتهر بالعدل والعفة[1] لكنه اغتيل من طرف أحد الأمراء[2].

خلفه والده محمد الرابع 725 – 733هـ / 1325 – 1333م وفي عهده استطاع مسلمو غرناطة مع بني مرين لاستعادة جبل طارق سنة 733هـ / 1333م بعد أن سيطر عليه الجيش القشتالي 709هـ / 1310م[3]. أما نهاية محمد الرابع فلم تكن أفضل من نهاية أبيه فاغتيل، فخلفه أخوه يوسف الأول 733 – 755هـ / 1333 – 1354م الذي كان من أبرع ملوك بني الأحمر.

بعد اغتيال يوسف الأول عام 755هـ / 1354م مرت مملكة غرناطة بوضع مضطرب توالى على عرشها أمراء ضعاف فقد خلع بعضهم أكثر من مرة، كما وحدة المماليك الإسباني جهودها من أجل استصفاء مملكة غرناطة وتوزيع تركتها فيما بينها[4]. وفي سنة 867هـ / 1462م حكم غرناطة سعد بن محمد بن يوسف المستعين بالله، لكن خلال حكمه ثار عليه ولده أبو الحسن وحكم مكانه في سنة 868هـ / 1463م[5].

الفرع الثالث: العلاقة في الميدان الديني والثقافي والاقتصادي والعمراني

أولا: في الميدان الاقتصادي والعمراني:

---

[1] خليل إبراهيم السمرائي، عبد الواحد ذنوب طه وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط1، 2000، ص297، 298.

[2] علي. منتصر الكتاني: المرجع انفسه، ص40.

[33] فرحات يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، لبنان، دار الجيل، ط1، 1993.

[4] السامرائي خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، لبنان، دار المدار الاسلامي، ط1، 2004، ص299.

[5] م . ع. عنان: المرجع السابق، ص164 – 168.

لعبت التجارة دورا ملحوظا في النقل الحضاري بين الجانبين، وكانت التجارة تتم في الأحوال في أوقات السلم والصلح التي تسود بين الطرفين، وتتوفر المصادر على أدلة تقترح أن العلاقات السلمية كانت الشغل الشاغل والهدف للمجتمعات على جانبي الحدود، التي حظي بعضها بحقب طويلة من السلام، فعلى سبيل المثال، كانت هناك نحو 85 سنة سلام مقابل 25 سنة من الحرب الرسمية بين قشتالة ومملكة غرناطة في الحقبة 758-865هـ / 1350- 1460م، الأمر الذي وفر جوا صالحا للتجارة لممارسة أعمالهم والتنقل بين الحدود، وهناك إشارات إلى ورود تجار نصارى من الشمال إلى الأندلس في عهود مختلفة، وعلى الرغم من الموقف الفقهي الذي لا يجيز المتاجرة ببعض السلع لأهل الحرب، كالسلاح وغيره، لكن يبدوا لأن أهل الأندلس كانوا مضطرين لذلك لغرض الحصول على سلع أخرى ضرورية، لا سيما المواد الغذائية والملابس، وتتطلب هذه الحالة بضرورة وجود زخم تجاري كبير بين الجانبين، الأمر الذي ساعد على انتقال المؤثرات الحضارية بواسطة هؤلاء التجار الذين لعبوا دور الوسيط بين الحضارتين، هناك علاقة تجارية بين غرناطة وقشتالة حيث اتفقتا على تأمين جميع التجار من النصارى والمسلمين، والسماح لهم بالتوجيه بجميع السلع والأشياء المباح بيعها وشرائها بين المملكتين، وكذلك اتفقت المملكتين أن تصدر قشتالة إلى غرناطة كل عام لمدة ثلاث سنوات سبعة ألاف رأس من الضأن والماعز ومائة بقرة وكانت غرناطة تصدر إلى قشتالة المصنوعات الدقيقة مثل إبرة الخياطة وخيوط الغزل وسكاكين المائدة والأجراس الصغيرة. وكان هناك أيضا علاقات تجارية بين مملكتي غرناطة وآرغون[1].

وكان أيضا التأثير الحضاري في مجال فن العمارة والبناء، وأعمال الخزف والقرميد متبادلا بين الأندلس وإسبانيا النصرانية[2].

---

[1] طه عبد الواحد ذنون: دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، لبنان، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004، ص162،161.

[2] العبادي أحمد مختار، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة الشباب، الإسكندرية، ص286-288.

كان المنزل القشتالي يعكس تكوين المنزل الأندلسي نفسه، وحتى القصور الملكية كانت صورة من القصور الأندلسية، مثل قصر اشبيلية الفخم، فقد عمل في بناء هذا القصر عرفاء مسلمون من طليطلة وغرناطة. وإلى جانب قيام هؤلاء ببناء قصر إسلامي أصيل، تركوا وراءهم الكتابات العربية. وفي المقابل نجد تأثيرات قوطية إفرنجية في الرسوم المدهشة لقباب صالة الملوك في قصر الحمراء بغرناطة وتحتوي هذه الرسوم على مناظر، فيها صور لنبلاء

مسلمين ونصارى، وسيدات وفي منافسة متسمة بالاحترام، والفروسية في القتال والصيد، ولعب الشطرنج، وشمل التأثير أيضا جملة من الأبنية المدنية، مثل الجسور، والأقبية المائية، كما يظهر تأثير الإسلام بصورة لا تقل عمقا في تطور الفنون الصغرى وبعض الصناعات التي تخدم أغراضا زراعية، مثل استحداث الناعورة، وصناعة الصابون، والعاج والمصنوعات الذهبية، والزجاجية، والخزفية والتطريز، واستمرت هذه الصناعات تعمل في المدن التي استعادها الإسبان من المسلمين، يشير هذا بوضوح إلى التداخل الحضاري بين الإسلام والنصرانية في شبه الجزيرة الإيبرية[1].

ثانيا: في الميدان الديني والثقافي:

التأثير الديني فيتمثل بالانتشار الواسع الذي حققه الإسلام بين صفوف السكان النصارى في الأندلس، فضلا عن اعتناق الكثيرين لهذا الذين فقد أثر أيضا على أعماق الروح الفردية والجماعية لأتباع الكنيسة الكاثوليكية الاسبانية، التي أصبحت تمثل شكلا فريدا من المسيحية الغربية، حيث أصبح للدين المكانة الأساسية في نفسية الإنسان الاسباني لا يضاهيه إلا مكان الإسلام في نفس الفرد المسلم وفي مجتمعه. وهكذا أصبح الإنسان الإسلامي يتشابه مع الإنسان الاسباني، وأخذت النصرانية الاسبانية أفكارا ونظما وأحوالا فكرية من العقيدة

[1] ط . ع. ذنون: المرجع السابق، ص 179، 180.

الإسلامية، فاتبعت على سبيل المثال، سياسة المذهب الواحد كما فعل المسلمون في الأندلس بالنسبة للمذهب المالكي، فاقتصرت على المذهب الكاثوليكي، وتعصبت له حتى ضرب بها المثل، فقيل إنها أكثر تعصبا للبابوية الكاثوليكية من البابا نفسه، ولكنها خالفت الإسلام في مبدأ التسامح الديني، الذي أضفى دائما على أهل الكتاب مكانة خاصة يحميها الشرع، عكس النصرانية التي ليس فيها مكان لأي دين آخر، هناك وسيلة أخرى فعالة ساهمت إلى حد

كبير في نقل العلوم والتراث العربي الإسلامي إلى إسبانيا النصرانية، تلك هي عملية الترجمة التي ابتدأت بالتقدم بعد امتداد الحدود للإمارات الإسبانية. نالت حركة الترجمة دعم الحكام الإسبان، فشجعوا على نقل الكثير من المؤلفات العربية إلى اللاتينية والإسبانية، لا سيما كتب الفلك ومعارف مختلفة مثل المنطق والهندسة والطب والموسيقى، كل حسب لغته[1].

المطلب الثاني: اتحاد الممالك النصرانية 884هـ / 1479م

الفرع الأول: إتحاد مملكتي قشتالة و أراغون

أولا: مملكة قشتالة:

لما توفي هنري الرابع ملك قشتالة في سنة 880هـ / 1474م، ثارت حول وراثة العرش مشكلة دقيقة، ذلك أن الملك هنري لم يترك سوى طفلة هي خوانا " جنه ". وكان مع ذلك يشك في نسبتها إليه، وتنسب أبوتها إلى صديقه وصفيها الدوق بالتران دي لاكويقا، ومن ثم كان إسمها الدائع خوانا بالترا نيخا، وكان يناصرها فريق صغير من النبلاء، حيث أن إزابيلا أخت الملك هنري تتمتع بعطف الشعب القشتالي، ويناصر وراثتها للعرش فريق كبير من النبلاء وكان أخوها الملك هنري قد اعترف بحقها في العرش. وأيدها الكورتيس مجلس النواب

[1] ط . ع. ذنون، المرجع السابق، ص171.

في ذلك عقب، وفاة أخيها ألفونسو في سنة 874هـ / 1468م، ومن ثم فقد كان حقها في وراثة العرش أمرا واضحا[1] وكانت الملكة إزابيلا تتمتع بكثير من الذكاء والعزم، وكانت تثير برقتها وتواضعها وإحتشامها، حب الشعب القشتالي وإعجابه، حيث كانت تجيش بنزعة دينية عميقة، تذهب أحيانا إلى مذهب التعصب المضطرم، وكانت تقع تحت تأثير الأحبار المتعصبين وتترل عند تحريضهم وتجيههم وكان مشروع غزو مملكة غرناطة والقضاء على

الأمة الأندلسية، يذكى في نفس هذه الملكة الورعة التي تنعت أيضا بالكاثوليكية، أشنع ظروف التعصب، ويحملها على مؤازرة ديوان التحقيق الإسباني[2]، وإقرار كل ما جنح إلى ارتكابه باسم الذين من الأعمال والجرائم المثيرة[3].

ثانيا: مملكة آراغون:

دام استطال حكم خوان الثاني حتى سنة 846هـ – 884هـ / 1442م – 1479م، وقد بلغ الثمانين من عمره وكف بصره، فترك العرش لولده فرناندو، وكان فرناندو الخامس أو فرناندو الكاثوليكي من أعظم ملوك اسبانيا النصرانية وأوفرهم عزما وهمة، وكان يتمتع بمقدرة فائقة، سواء في الإدارة أو في ميادين الحرب والسياسة، بيد أن هذا الجانب الحسن من خلاله، كانت تغشاه صفات سيئة، كان فرناندو أميرا لا وازع له، يجنح في سياسته إلى الغدر ومجانية الوفاء، وكان رجل الفرصة السانحة يلتمس إلى تحقيق أطماعه مهما كانت تجانب المبادئ الأخلاقية المقررة[4].

---

[1] محمد . عبد الله. عنان: المرجع السابق، ص180.

[2] ديوان التحقيق الإسباني يعرف باسم المحاكم المعروفة، تأسست في إسبانيا منذ القرن الثالث عشر ميلادي ولقد أقام الملكان الكالوثكيان هذه المحاكم أولا في إشبيليا سنة 585هـ / 1480م، وكانت هذه المحاكم سلاحا فتاكا بيد الكنيسة تسحق به كل من لم يذعن لأوامرهم ويرجع قيام محاكم التفتيش إلى فكرة الرقابة القديمة على العقيدة، أنظر: خليل إبراهيم السمرائي: تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004، ص411.

[3] محمد . عبد الله. عنان: المرجع السابق، ص184.

[4] المرجع نفسه، ص180 – 184.

ثالثا: اسبانيا الكاثوليكية المتحدة (المصاهرة السياسية)

تزوجت الملكة أيسابيلا قبل وفاة أخيها ببضعة أعوام بابن عمها الأمير والد الملك خوان الثاني، وهذا الزواج مهد لتوحيد اسبانيا النصرانية، وقد كانت الأميرة إيزابيلا منذ أن كبرت مطمع الأنظار لما يؤهلها لعرش قشتالة من الاحتمالات القوية. وكان خوان الثاني ملك آراغون يتوق إلى خطبتها لابنه فرناندو لما يربط أسرتي قشتالة آراغون من أواصر القرابة الوثيقة، ويقرب سبل الاتحاد بين الفريقين، وكان فرناندو أول المتقدمين لخطبة الأميرة، ولكن

أخوها الملك هنري لم يكن راضيا عن ترشيحه، وكان ينافسه في خطبتها عدد من الأمراء والنبلاء منهم كبير فرسان قلعة رباح، وقد وافق أخوها الملك هنري على زواجه منها، ولكنه توفي قبل إتمامه، وكذلك خطبها الفونسو ملك البرتغال وأمراء آخرون، ولكن إسابيلا رغبة عنهم جميعا، وأثرت بعد إمعان النظر أن تستجيب لدعوة ابن عمها فرناندو الأرجواني، لنفس البواعث التي دعت إلى تقدمه إليها، ولأنه يجمع بينهما من الجد بيت ملكي واحد[1].

ووضعت شروط الزواج بين الفريقين سرا نظرا لمعارضة الملك هنري، وفيها يتعهد فرناندو بأن يحترم قوانين قشتالة وتقاليدها وأن يجعل مقر إقامته فيها وأن لا يغادرها دون إذن اسابيلا، وألا يجري أي قرارات أو تعيينات في المملكة دون إذنهما، وتعهدا بالأخص أن يتابعا الحرب ضد المسلمين، وفي أكتوبر سنة 875هـ / 1469م عقد الزواج في مدينة بلد الوليد، حيث كانت تقييم الأميرة، في حفل خاص لم يشهده سوى قليلا من الأصدقاء، وأخطرت الأميرة أخاها بعقد الزواج، بكتاب تشرح فيه البواعث حددت بها إلى إتمامه، وهكذا حققت أمنية ملك أراجون وأثبتت الأحداث بعد نظره وخطورة مشروعه وأعلنت إسابيلا عقب وفاة أخيها ملكة قشتالة وليون في شقوبية حيث كانت وذلك في ديسمبر 880هـ / 1474م،

[1] محمد . عبد الله. عنان: المرجع السابق، ص180-182.

وحذت مدن أخرى حذو شقوبية ولكن الأمر لم يكن هينا، ذلك أنه كان ثمة فريق من النبلاء يناصر الأميرة خوانا إبنة الملك المتوفي، وكان زوجها فرناندو يطمح فوق ذلك انتزاع العرش لنفسه باعتباره آخر عقب من الذكور لبيت قشتالة الملكي، ولكن إسابيلا تمسكت بحقها، وانته الأمر بينهما بالاتفاق على مزاولة الملك المشترك، تعتبر فيه ايسابيلا ملكة أصلية لقشتالة، لها الرأي الأول في الكثير من الشؤون ومجرى القضاء وسك العملة باسميهما، وكان خصوم إيسابيلا في ذلك الحين على رأسهم مطران طليطلة، قد تفاهموا مع ملك البرتغال ألفونسو الخامس على تأييد سعيهم في تنصيب خوانا ملكة وهي ابنة أخته وفي سنة 881هـ

/ 1475م غزا ملك البرتغال قشتالة بقواته واخترق هضابها الشمالية حتى مدينة سمورة، وبادر فرناندو وايسابيلا بالسير في قواتهما إلى لقائه واشتبك الفريقان على مقربة من تورو بجوار سمورة، فارتد القشتاليون في البداية ولكن ألفونسو لم يبادر إلى الاستفادة من تفوقه وطال الصراع بين الفريقين بضعة أشعر، وفي النهاية رجحت كفة القشتاليين واضطر ملك البرتغال أن يرتد أدراجه في فبراير سنة 882هـ / 1476م[1].

وهكذا انتصر فرناندو وإيسابيلا عن خصومهما واستقرا معا على عرش قشتالة بلا منازع.

وفي سنة 884هـ / 1479م ارتقى فرناندو عرش أرجوان على أثر وفاة أبيه خوان الثاني، وبذلك اتحدت المملكتان الاسبانيتان في ظل عرش واحد، بعد أن فرقت بينهما المناسبات والخطوب أحقابا، واجتمعت كلمة النصرانية بعد أن طال افتراقها، وبدأت إسبانيا في ظل فرناندو وإيسابيلا أو في ظل الملكين الكاثوليكيين حسبما لقبا بعد، عصرا من القوة والعظمة والسؤدد، لم تشهده في تاريخها من قبل، وهو بحق فاتحة عصرها الذهبي[2]، وقد أدى هذا

---

[1] محمد . عبد الله . عنان: المرجع السابق، ص180، 182.

[2] محمد . عبد الله عنان: المرجع نفسه ص184.

الزواج الذي وحد أقوى الممالك المسيحية الاسبانية على إعطاء الضربة القاضية لمملكة غرناطة[1].

الفرع الثاني: تطور الصراع بين المملكتين قشتالة وآرغون مع غرناطة (868هـ – 896هـ / 1464م – 1490م):

أولا: عهد علي أبو الحسن

توفي السلطان بن محمد بن يوسف النصري في أواخر سنة 868هـ / 1463م، كان ولده الأكبر علي أبو الحسن الملقب بالغالب بالله متربعا على عرش غرناطة قيل ذلك بأكثر من عام، وكان أبو الحسن يومئذ فتى في نحو الثلاثين من عمره[2].

إذ أنه لم يستخلص الملك لنفسه إلا بعد نضال عنيف بينه وبين منافسيه، وعلى رأسهم أخواه يوسف أبو الحجاج والسيد أبو عبد الله محمد المعروف بالزغل وقد توفي يوسف، وبقي الزغل ليخوض حياة حافلة بالأحداث والمحن، وكان أبو الحسن أميرا وافر الشجاعة والعزم، ملك الحرب والجهاد، وكانت له أيام أبيه غزوات موفقة في أرض النصارى[3]. قام بإنجازات كبيرة في تحصين المملكة، وتنظيم شؤونها، وبث فيها روحا جديدة من القوة والطمأنينة، استطاع أن يسترد عدة من الحصون والقواعد التي استولى عليها النصارى وتولى وزارته، وزير أبيه من قبل القائد أبو القاسم بن رضوان بنغيش()، وفي أوائل حكمه خرج عليه أخوه أبو عبد الله

---

[1] M. Florian, History of the Moors of Spain New YorK : Harper, 1857, p182.

[2] ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، ت808هـ / 1406م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن معاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2000، ص 178.

[3] محمد. عبد الله، عنان: المرجع السابق، ص191-192.

الزغل وكان يومئذ واليا لمالقة، وكان يضارعه في الشجاعة والجرأة وحب النضال. وقد لجأ كعادة الخوارج الأندلسيين إلى مملكة قشتالة هنري الرابع وبطلب مساعدته ضد أخيه أبي الحسن 874هـ / 1469م. ووعده بالعون والتأييد وبذل السلطان أبو الحسن الإغارة على

أراضي قشتالة 875هـ / 1470م، ثم عاد في العام التالي فغزاها مرة أخرى، وانتزع من النصارى بعض المواقع التي استولى عليها[1].

واشتغل أبو الحسن في الأعوام الثلاثة التالية بمحاربة أخيه أبي عبد الله الزغل، الثائر عليه وكان النضال سجلا بينهما. وشغل أبو الحسن بذلك عن جهاد أراضي النصارى وشغل القشتاليون أنفسهم بما نشب بينهم من الخلاف الداخلي، وذلك حتى وفاة ملكهم هنري الرابع في سنة 879هـ/ 1474م، وفي تلك الأثناء خرجت مالقة عن طاعة أبي الحسن، حيث ثار بها القائد محمد الفرسوطي وانضم إليه الكثير من القادة والجنود. فسار أبو الحسن إلى مالقة وحاصرها، ولكنه لم يفلح في إخماد الثورة، واستدعى القادة الثائرون أخاه أبي عبد الله محمد ابن سعد (الزغل)، وكان يومئذ بقشتالة وأعلنوه ملكا عليها[2].

وبذلك انقسمت الدولة الصغيرة إلى مملكتين، وأخيرا جنح الأخوان بعدما تبين لهم من عواقب التفرقة إلى الهدنة، وتم الاتفاق على احترام الوضع القائم أبو الحسن في غرناطة والزغل في مالقة[3].

حاول السلطان أبو الحسن أن يجدد الهدنة مع القشتاليين ليتفرغ لأعمال التحصين والإنشاء وكان يلوح في البداية إلى أن العلاقة بين الفريقين تسير نحو التفاهم والسلم. وهناك ما يدل في الواقع على أنه كان يقوم يومئذ بين مملكة غرناطة وقشتالة صلح حسب ما يؤيد ذلك

---

[1] نفس المرجع السابق، ص192.

[2] محمد. عبد الله. عنان: المرجع السابق، ص192.

[3] المقري: المصدر السابق، ج6، ص59.

الاتفاق الذي عقداه يومئذ على إجراء التحكيم في ما وقع عند كل منهما في أراضي الآخر من الحروب التي ترتب عليها القتل والأسر والحرق سواء في البر أو البحر، وكان يحتوي النصين العربي والقشتالي لهذا الاتفاق الذي عقد بين السلطان أبي الحسن وبين فرناندو وإزابيلا ملكي قشتالة وأرغون، وهي مؤرخة في شوال سنة 882هـ الموافق ل يناير سنة 1478م[1].

وعليه أرسل السلطان أبو الحسن في أوائل سنة 883هـ 1478م إلى ملك قشتالة يطلب تجديد الهدنة القائمة بينهما، وكان فرناندو وإسابيلا يقيمان يومئذ في إشبيلية فوافقا على مطالب أبو الحسن، بشرط أن تعترف مملكة غرناطة بطاعتهما، وأن تؤدي نفس الجزية من المال والأسرى التي كان يؤديها السلاطين السابقين، وأرسل بالفعل سفيرا إلى السلطان أبي الحسن ليطالبه بعهد الطاعة وتأدية الجزية، فرفض أبو الحسن[2].

لكن امتنع عن دفع الأتاوى التي كان يؤديها للملوك إسبانيا في كل سنة. وقال لرسول فرناندو: " قل لمولاك إن سلاطين غرناطة الذين اعتادوا أداء الأتوات، قد ماتوا وأن دار الضرب بغرناطة لا تطبع الآن ذهبا أو فضة وإنما سيوفا ورماحا "، ثم أخذ يستعد للقتال ويعرض الجيوش لساحة عند باب الغدر بمدينة الحمراء غرناطة كي يظهر للناس ما معه من فرسان والسلاح وعتاد، ولقد أثارت هذه الإجابة غضب الملك فرناندو وصرخ قائلا "Granada le anancare los granos uno a uno" أي غرناطة، سوف أنتزع حباتك واحدة واحدة، فهو يقصد بانتزاع حباتها أي حصونها واحدة بعد الأخر[3] ولم يمضي سوى

---

[1] محمد. عبد الله. عنان، المرجع السابق، 194.

[2] محمد. عبد الله عنان: المرجع نفسه، ص194، 195.

[3] أحمد المختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، دار المعرفة، 2005، ص350.

القليل حتى أغار القشتاليون على حصن بلنقة (فيلا لونجا) واستولوا عليها، وعاثوا في أحواز رندة[1].

ثانيا: احتلال الصخرة (886هـ 1481م)

رد أبو الحسن على ذلك بإعلان الحرب على قشتالة، وزحف على بلدة الصخرة وهي قاعدة حصينة تقع على حدود الأندلس الغربية في شمال غربي مدينة رندة، وكان قد انتزعها القشتاليون منذ عهد قريب فباغتها أبو الحسن واستولى عليها عنوة وقتل حاميتها وأسر سكانها في ديسمبر سنة 886هـ / 1481م، وبالرغم مما أحرزه أبو الحسن من الظفر في تلك المعركة الأولى، وبالرغم مما بثه الظفر في طوائف الشعب من الغبطة والحماسة، فقد اعتبر بعض العقلاء تصرفه اعتداء لا مبرر له وتوجسوا شرا من عواقبه، وتشير الرواية القشتالية إلى أن فقيها زاهدا شيخا عرف بنبوءته، كان بين الوفود التي ذهبت غداة هذا الانتصار إلى قصر الحمراء وأنه صرخ في وجه السلطان قائلا: " ويل لنا قد دنت ساعتك يا غرناطة ولا سوف تسقط أنقاض الصخرة فوق رؤوسنا، وقد حلت نهاية الإسلام بالأندلس"[2].

كان اقتحام الصخرة ظفرا مؤقتا، ذلك أن أبا الحسن[3]، بعد ذلك اشتغل بالذات والانهماك بالنساء والمطربات وركن إلى الراحة وضيع الجند، وكان وزيره يوافقه على ذلك ويظهر للناس الصلاح والعفة وهو بعكس ذلك، يضبط المغارم ويثقلها ويجمع الأموال ويأتيه بها ويعطيها من لا يستحقها ويمنعها مستحقها ويهمل كل ما فيه نجدة وشجاعة[4].

---

[1] محمد عبد الله. عنان: المرجع نفسه، ص195.

[2] محمد. عبد الله. عنان: المرجع السابق، ص160.

[3] المقري: المصدر السابق، ج6، ص167.

[4] مؤلف مجهول: أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، ص373، 374.

ثالثا: غزوة الماركيز أوف كاديز ضد الحمى (887هـ/ 1482م)

شعر الملك فرناندو بالإهانة عندما اطلع على خبر سقوط الزهراء فأعاد تقييم كل سياساته، رد إن الملك الداهية لا يغفر بخصمه العنيد إن تقدم عليه لذلك أصدر أوامر إلى كل ممثليه

وأسياد مقاطعاته على الحدود، بأخذ أقصى الاحتياطات والتمركز في مواقعهم. في الوقت الذي أرسل فيه القساوسة " الفرير " بمختلف تنظيماتهم لتحريض كل الفرسان في العالم المسيحي ليأخذوا دورهم في الملة الصليبية على جيرانهم المسلمين[1].

ومن ضمن من لبى دعوة الملك والتف حول عرش فرناندو وإزبيلا من هؤلاء الفرسان المشهورين بالمهارة وعلوهم بالقدر القتالي هناك: دون رودريغو حاكم العيون والماركيز القاضي أوف كاديز صار بطل هذه الحرب المتميز[2]().وكان مركز هذا المركيز في أكثر أراضي الأندلس، وتحت إمرته مدن كثيرة وقلاع وقصور، بشكل يمكنه أن يجند منها وحدها جيشا كاملا، بمجرد أن يتلقى إشارة من الملك كان متشوقا لأن يبرز ويظهر من خلال هجوم يخترق به مملكة غرناطة في الصميم، ليعطي بهذا الاختراق إشارة بدا الحرب، وبذلك يمحي الإهانة التي تلقتها جماعته باحتلال الزهراء، ولما كانت مقاطعاته على الحدود مباشرة من العرب فهي الأكثر تعرضا للغزو، ولذلك كان يجزي العطاء للجواسيس والكشافة والأدلاء العرب فيرسلهم لكل الجهات العربية للمراقبة وكتابة التقارير التي تزوده بالمعلومات الهامة لتأمين حدوده من كل مفاجأة، وقد قدم إليه أحد الشرفاء إلى مدينة مارشينا وأخبره أن مدينة الحمى محمية حماية ضعيفة، مهملة الحراسة يمكن أخذها بالمفاجأة، لكي يتأكد ماركيز من

---

[1] واشنطن ارفينغ: أخبار سقوط غرناطة، تر: هاني يحي نصري، بيروت، الانتشار العربي، ط1، 2000، ص78.

[2] اورتيغا دي برادو: ولد عام 1443 من سلالة ألفونس الشهير، وكرس نفسه لساحات الحرب منذ نعومة أظافره وكان طويل القامة قوي البنية، كان داهية حليما كريما مع أتباعه، قاسيا وفظيعا على أعدائه، كان يعكس صورة الفارس في عصره التي تقابل عند معاصريه المعنى الحقيقي لعبارة السيد الخالدة وكانت تحت غمرته مدن كثيرة وقلاع وقصور في أراضي الأندلس.

وضع هذا الحصن أرسل جنوده المحنكين بالحرب ممن يثق فيه لكي لا يعتمد على وشاية جاسوس، وكان هذا الجندي الثقة يحمل اسم أورتيغا دي برادو قائد فرقة السلالم التي تهاجم القلاع، فواصل أورتيغا إلى الحمى في ليلة بلا قمر ليتسلق وحده جدار حصنها بخفة وعدم

ضوضاء وهو يضع أذنه على الحائط من فترة لأخرى أثناء تسلقه ليسمع خطوات الحراسة على أعلى سور الحائط في مدى اقترابهم أو ابتعادهم عنه، ومقدار عددهم وبعد ذلك تابع تسلقه من حصن المدينة إلى حصن قصرها، وكان الصمت مطبقا بينما كان يتجنب بطاريات الحراسة التي كانت وكأنها تقف بينه وبين السماء. ولم يجد أيا منها يقوم بواجب الحراسة بشكل جيد، فحدد النقاط التي يمكن وضع سلاله عليها أثناء الهجوم المرتقب، وسجل ساعات تبديل الحرس، مسجلا كل الملاحظات التي يمكنها أن تحقق هدفه، وعاد دون أن يكتشف[1].

وبوصوله إلى مرشينا أكد للمركيز تسلق الحمى وأخذها على عين غرة، ولثقة المركيز بكل من دون بيدرو ودون دييغو دي مرلو قائد حامية قشتالة وسانكو دي بلا وسيد كارمونا طلب منهم مساعدته فأرسلوا قوات له من أجل هذا الغرض، وفي يوم محدد تجمع هؤلاء القادة في مارشينا بقواتهم وتعزيزاتهم دون أن يعرف سوى القادة بجهة الغزو، وهكذا تحركت الملة بثلاثة ألاف خيال، وأربعة ألاف من المشاة عبر طريق جبال الظريفة الوعرة وطرقاتها الصعبة، وبعد أيام هبطوا مع منتصف الليل في واد صغير على مرمى حجر من الحمى وهنا أوضح الكمركيز أوف كاديز هدف الحملة لجنوده التي ستشكل ماجدا للإيمان المقدس بالثأر مما حدث للزهراء كما أوضح لهم أن الحمى مدينة غنية بما يمكن نهبه، مما حمس الجنود للإسراع بالهجوم وطالبوه بقيادتهم وهكذا وصلوا إلى الحمى قبل ساعتين من شروق الشمس ونصب الجيش كمائنه، تسلق ثلاثمائة منهم، وبذلك تم ذبح كل الحراس وهم نائمون،

[1] واشنطن. افينغ: المرجع السابق، ص78.

ثم أطلق صفارة الإنذار بالقلعة فصحت الحامية من نومها لتجد العدو قد سيطر على كل الأسوار والأبراج، وهكذا استبيحت المدينة وكانت الغنائم فيها كثيرة وخاصة ما فيها من كميات كبيرة من المجوهرات الذهب والفضة والحرير وكل صنف ثمن، لأن الحمى تجمع

الضرائب وإيجارات كل ما يجاور هذه المملكة الغنية مملكة غرناطة فالحمى أغنى مدن الأندلس وهي بسبب قوت تحصينها وموقعها الاستراتيجي كانت تسمى مفتاح غرناطة، لذلك حمل كل جندي إسباني أكثر مما يستطيع على حمله من الغنائم والمنهوبات على ظن استحالة احتفاظهم بهذا المكان وراحوا يدمرون ملا يقدرون على حمله، وهكذا خلطوا الزيت بالعسل في المستودعات ومزقوا فرش البيوت وحرقوا الكتب، وحين وجدوا الكثير من أسرى الزهراء في أقبية السجن ارجوهم للنور والحرية، أما الجواسيس الإسبان الذين كانوا يعملون كأدلاء للعرب في الأراضي الإسبانية فقد شنقوا على أعلى نقطة حراسة بالقلعة كعبرة لكل من يعتبر من الجيش[1].

تأثر أهل غرناطة بخبر الإستلاء على الحمى وذلك حينما رفع فارس عربيي حصانه إلى باب الحمراء يحمل إلى مولاي أبي الحسن أنباء الهجوم على الحمى قائلا:" لقد باغتنا الصالبيون دون أن نعرف من أين وكيف ظهروا في بلادنا، وتسللوا إلى القصر بيلا، فقاتلناهم قتالا عنيفا على الأسوار والأبراج ولما انطلقت بحصاني من باب الحمى كان القصر قو وقع بحوزة المشركين ".

هكذا شعر مولاي أبو الحسن كما وأن الأمر محاولة عقاب له على ما صنعه بالزهراء، فكان مولاي أبو الحسن رجل أفعال لا أقوال انطلق فورا إلى الحصن بذاته على رأس 3000 فارس و5000 رجل، دون أن ينتظر مرافقة المدفعية وباقي أدوات الحصار البطيئة الحركة، فكثرة

[1] واشنطن. ارفينغ: المرجع السابق، ص79.

قواته كانت برأييه كافية لتدمير العدو، من جهة أخرى تجمعت القوى الكاثوليكية التابعة للماركيز أوف كاديز الذي سيطر على الحمى كان أصدقاءه المختارون من أهم الفرسان الصلبيين، مثل دون الونزو دي قرطبة، سينبور وسيد غويلار وشقيقه غونزاقوا القرطبي الذي

حاز بعد ذلك لقب كابتن إسبانيا الأكبر، وأيضا ممن ساعدهم دووق مادينا صيدونيا مدينة صيدا الأندلسية كان هو الآخر مؤهلا لهذه المهمة أي[1] مواجهة قوى مولاي أبو الحسن، وحماية مدين الحمى، وهكذا كان الجيش من نخبة زهرة إسبانيا يتحرك بكل ما هاب من أبواب قشتالة، وكذلك انضم إليهم فرناندو الذي أسرع بنفسه إلى ساحة المعركة فأسرع قبل أن تسرع خيله، لينطلق بجيشه بسرعة مذهلة تاركا وراءه طلبا إلى الملكة إيزابيلا بأن تتبعه، ومعه دون فالتان دي لابويقا دوق الباكويرقا ودون أنيغو لوبيز دي مندورزا، وكونت تنديلا ودون بيدور ما نريكويز وكونت أوف تريقينو مع فرسان آخرون متميزين، وسافر مسرعا بين محطات تغيير الخيل لغربته بالوصول في الوقت المناسب فيقود فرسان ضد العرب[2].

أما مولاي أبو الحسن الذي سمع بالقوات العسكرية الضخمة التي تقدمت بقيادة الدوق وأن فرناندو بنفسه يقود قوات تعزيز أخرى فرأى أن الوقت لا يعمل لصالحه فإما عليه أن يأخذ الحمى بهجوم قوي كاسح أو يتركها للصليبيين، وعليه اندفع المدافعون بقواتهم المقدرة نحو 70 مقاتلا عربيا داخل السور والمدينة، بينما كان الملك العربي يضرب المدينة من بعيد وجنده يتجهزون نحو البوابات الرئيسية لفتحها للجيش الغازي، وأثناء هذا الصراع وصلت قوات دون ألندو وبيدرو لتحاصرهم من الخلف فالتفوا نحو علمهم يقاتلون ببأس وتصميم ويطيحون بكل من يقترب منهم، لكن القوات المسيحية عززت نفسها وزاد عددها لتضغط على حلقتهم إلى درجة كاد أن يسقط من جرائها علمهم، وظل الصراع على هذا الحال إلا

---

[1] واشنطن. ارفينغ: المرجع السابق، 79، 80.

[2] واشنطن. ارفينغ: المرجع نفسه، ص82-90.

أن سقط العلم بسقوط آخر عربي يدافع عنه، هذا العلم الذي يمثل رمز النبوة والذي أحضره المهاجرون معهم، قد عاد النصارى لإلقائه من أعلى الصور من الرؤوس المعتمة لكل

المهاجمين وعلى هذا العمل نال بعد ذلك بيدرو دي بنيدو لقب الشرف والفروسية من الملك فرناندو عام 887هـ / 1482م[1].

أما مولاي أبو الحسن فقد كان يتمزق غيظا وهو يرى سقوط رؤوس فرسانه بهذا الشكل المهين فأدرك استحالة بذل أي مزيد ما الجهد لإسقاط القلعة خاصة وأن بيارق الصليبيين القادمين لنجدتها وهي تتقدم من بعيد، فأطاح الملك العربي بخيامه مسرعا، وتراجع عن حصار حمى وعاد بسرعة لغرناطة حيث برز كذلك علم الدوق أوف صيدونيا أما الصليبيون في الحمى فقد راحوا يطلقون صرخات الفرح والشكر لله، عندما بدأ الجيش العربي يتراجع من جهة، والجيش الصليبي يتقدم من جهة أخرى، عاد ملك العرب مولاي أبو الحسن رائب الرجاء من أسوار الحمى يتلقاه الناس بالهمز واللمز في غرناطة، فنبوءة الدرويش كانت لا تزال على كل لسان إذ بدأت تتحقق بسرعة، فها هو العدو يعزز تحصيناته في الحمى في قلب المملكة الإسلامية[2].

كان السلطان أبو الحسن قد اقترن بابنة عمه عائشة ابنة السلطان الأيسر، ورزق منها بولدين أبي عبد الله محمد وأبي الحجاج يوسف، كانت عائشة ملكة في ملك يحتضر[3].

ومجد يشع بضوئه الأخير ليخبوا ويغيض، وكانت روح العزم والتفاؤل التي سرت في بداية هذا العهد إلى غرناطة، تذكى بقية من الأمل في إنقاذ هذا الملك التالد. وكانت عائشة ترى من الطبيعي أن يؤول الملك إلى ولدها، ولكن حدث بعد ذلك ما يهدد هذا الأمل المشروع

---

[1] واشنطن ارفينغ المرجع السابق، ص90 – 93.

[2] المرجع نفسه، ص93 – 95.

[3] المقري: نفح الطيب، ج6، ص260.

ذالك أن السلطان أبا الحسن ركن في أواخر أيامه إلى حياة الدعة واسترسل في أهوائه وملاذه[1].

وهذا ما أدى على خلافات دموية في البلاط الغرناطي وذلك أن أبا الحسن اقترن ثانية بفتاة نصرانية تسمت بالسيدة ثرية وأنجب لأبي الحسن ولدين سعدا ونصرا حيث تسلطت ثريا على شؤون القصر وأصبحت ثريا الآمرة الناهية خاصة وأن أبا الحسن أصبح عجوزا[2].

كان يقيم السلطان يومئذ مع زوجته الفتية الحسناء في جناح الحمراء الكبير أو قصر قمارش، وذلك بينما كانت تقيم الحرة وأولادها في جناح بهو السباع[3].

ولم يكن اقتران الأمير بفتاة نصرانية بدعة، ولكنه تقليد قديم في قصور الأندلس ولم يكن ثمة ريب في خطورة الآثار الاجتماعية التي يحدثها مثل هذا الامتزاج الوثيق، وقد كانت فيما بعد من أهم العوامل التي أدت إلى انحلال المجتمع الإسلامي وانحلال عصبية الدولة الإسلامية، وكذلك لم يكن ثمة ريب في أن هذه الآثار الهدامة كانت أعمق وقعا وأشد خطرا وقت الانحلال العام، وكان السلطان أبو الحسن قد شاخ يومئذ أثقلته السنون، أصبح أبو الحسن أداة سهلة في يد زوجته الفتية الحسناء، وكانت ثريا فضلا عن حسنها الرائع، فتاة كثيرة الدهاء والأطماع، واستئثارها بالسلطان والنفوذ في هذه الظروف العصيبة، التي تجوزها المملكة الإسلامية عاملا جديدا في إذكاء عوامل الخصومة والتنافس الخطير، وكانت ثريا تتطلع على أبعد من السيطرة على الملك الشيخ، ذلك أنها أنجبت من الأمير أبي الحسن

---

[1] محمد. عبد الله. عنان: المرجع السابق، ص198.

[2] نصر الله سعدون، تاريخ العرب السياسي الأندلسي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1998، ص384.

[3] محمد. عبد الله. عنان: المرجع نفسه، ص199.

كخصيمتها عائشة ولدين وكانت ترجوا أن يكون الملك لأحدهما، وقد بذلت كل ما استطاعت من صنوف الدس والغراء

لإبعاد خصيمتها عائشة عن كل نفوذ، وحرمان ولديها محمد ويوسف من كل حق في الملك، وكان أكبرهما أبوا عبد الله محمد ولي العهد المرشح للعرش، وكان أشراف غرناطة يؤثرون ترشيح سليل بيت الملك، على عقب الجارية النصرانية، ولكن ثريا لم تيأس ولم تفتر همتها فمازالت بأبي الحسن حتى نزل عند تحريضها ورغبتها، وأقصى عائشة وولديها عن كل عطف ورعاية[1].

حتى أمر السلطان باعتقال عائشة مع ولديها في برج قمارش الحصين مع تشديد المراقبة، أثار هذا التصرف انقسام قادة غرناطة وأعيانها إلى فريقين متخاصمين حيث الأول يؤيد عائشة والثاني يؤيد ثريا والسلطان واستأثرت ثريا بالسلطة لم تستسلم عائشة إلى واقعها المرير، فدبرت خطة للفرار من سجنها[2].

وفي ليلة من ليالي جمادى الثانية سنة 887هـ/ 1482م استطاعت عائشة الفرار من سجنها مع ولديها محمد ويوسف، بمساندة بني سراج[3]، بعملية جريئة أثارت إعجاب وعطف الغرناطيين وتمت عملية الفرار من برج قمارش في وقت كان أبو الحسن يدافع عن لوشة ضد النصارى[4].

---

[1] محمد. عبد الله. عنان: المرجع السابق، ص199، 200.

[2] ن. سعدون: المرجع السابق، ص385.

[3] ع. م. الكتاني: المرجع السابق، ص51.

[4] ن. سعون: المرجع السابق، ص385.

وأعلن أبو عبد الله محمد العصيان على والده[1] وكذلك انقلب عليه أنصار عائشة الحرة وبايعوا ابنها عبد الله محمد ابن الحرة سنة 887هـ – 1482م في حين التجأ أبو الحسن عند شقيقه الزغل في مالقة[2] بعد أن تمكن أبو الحسن من نجدة مدينة لوشة التي كانت بقيادة الشيخ العطار، وانتهت المعركة بانسحاب النصارى بعد أن تكبدوا خسائر فادحة في جمادى الاولى 887هـ / 1482م[3]

رابعا: محاولة احتلال مالقة

في سنة 1483 سار مركيز على رأس قوة مؤلفة من أربعة ألاف رجل لتريب بسائط مالقة والاستلاء على الحاصلات التي تتمون بها المدينة فأسرع أبو الحسن على رأس 500 فارس لمقاومة الإسبان وتمكن من القضاء عليه رغم قلة عدد رجاله، وعاد فرسانه إلى مالقة يحملون قرابة ألف رأس من رؤوس القتلى ويجرون وراءهم 900 أسير منهم 250 نبيلا، وكان دخول أبي الحسن مالقة يوما مشهودا، تردد صداه في جميع أرجاء الاندلس[4].

محمد بن علي بن سعد " أبو عبد الله ":

تربع على عرش غرناطة الفتى محمد أبو عبد الله مكان أبيه 887هـ / 1482م، وسيطر على غرناطة ووادي آش وبقيت مالقة والغرب موالية لأبيه. كان النصر الذي أحرزته جيوش مالقة على النصارى أثرا بالغا في الأندلس، فقد انتعشت الآمال واستبشر الأندلسيون بكامل

---

[1] علي. م.نتصر الكتاني: المرجع السابق، ص51.

[2] شبارو عصام محمد: الاندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، 91–897هـ / 710– 1492م، لبنان، ط1، 2002، ص289.

[3] ن. سعدون: المرجع السابق، ص385.

[4] أسعد حومد: محنة العرب في الاندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1988، ص131.

المملكة، اغتنم أبو عبد الله محمد فرصة هزيمة النصارى أراد أن يحرز نصرا يرفع من مكانته،

فسار على رأس جيش نحو قرطبة في سنة 888هـ / 1483م واجتاح عددا من الحصون وهزم النصارى ثم عاد مثقلا بالغنائم[1].

ثم أعاد للجهاد عدته، وخرج في 1483م على رأس 1800 رجل[2] من أجل استرجاع حصن اللسان[3]. ولكن قادة الحصون الإسبان كانوا بقطبين فأعلنت إشارات التحذير والاستغاثة في جميع المناطق بواسطة إشعال النيران على رؤوس الجبال، وأخذت الكتاتيب تتجمع للدفاع عن الحصن، وشعر أبو عبد الله وكبار قادته بفشل خطتهم، وبخطر اندفاعهم في أرض العدو، فقرروا الانسحاب، وعاد الغرناطيون بانتظام، ولكن الإسبان انقضوا عليهم فوقع الخلل في صفوف المسلمين، وتدافعوا منهزمين، ولما وصل أبو عبد الله إلى السياقة كان عليه اجتيازها، سقط حصانه ولم ينتبه رجاله إلى ملكهم، فاضطر إلى الاختباء بعد أن قتل حصانه ولكن جنديين عثروا عليه. واستقاه إلى الكونت قبره الذي أعلم الملك بأسره فأسرع بالسفر إلى قرطبة حيث حمل إيه أبو عبد الله[4]. وعاد المسلمون إلى غرناطة بعد أن فقدوا ملكهم الأسير وهم في حالة الإعياء الشديد وعم الأسى العاصمة[5]. فأجمع كبار غرناطة على والده أهل الحسن الذي دامت فترة حكمه سنتين 888- 890هـ / 1483- 1485م[6].

---

[1] ن، سعدون، المرجع السابق، ص386.

[2] أ، حومد: المرجع السابق، ص132.

[3] اللسان: بلدة صغيرة حصينة تقع في نطاق ولاية قرطبة جنوب شرقي مدينة قرطبة، أنظر: ياقوت شهاب الدين الحموي: معجم البلدان، ج5، بيروت، دار صادر، ط1، 1995، ص 200.

[4] أ. حومد: المرجع نفسه، ص132.

[5] ن. سعدون: المرجع السابق، ص 286.

[6] واشنطن. افينغ: المرجع السابق، ص403.

فحاول السلطان أبو الحسن افتداء ابنه الملك الأسير عارضا شروطا لدى ملكي قشتالة فرفضا الطلب لأنهما كان يريدان استغلال وجوده عندهم للحصول على مآربهما التي تخدم الاسبان[1].

وأخيرا تكللت جهود أمه عائشة بالنجاح في تحريره، إذ أرسلت وفدا برئاسة الوزير ابن كماشة مزودا بالموافقة على شروط قشتالة[2]، فانتهت المفاوضات بعقد معاهدة سرية مجحفة، تتلخص في دفع المسلمين جزية سنوية اثنا عشر ألف دمبلا من الذهب وأن يعترف بطاعة الملكين فرناندو وإيسابيلا وأن يقدم ولده رهينة عدد من أبناء الأمراء ضمانا لوفائه بالعهد[3].

كذلك يتعهد بأن يسمح للجيش القشتالي بالمرور في الأراضي الخاضعة له كلما طلب الملك القشتالي ذلك[4]، وإطلاق أربعمائة من الأسرى النصارى الموجودين في غرناطة، وغيرها من الشروط[5].

ومدة هذه الهدنة سنتان، وبعد أن كبل ملك قشتالة أسيره بهذه الشروط سراحه ورافقته فرقة الفرسان النصارى إلى بعض الحصون الموالية له في غرناطة[6]، فاضطرت المدن التي خضعت في الماضي لأبي عبد الله إلى التردد في إعلان انطوائها تحت علم أبو الحسن، وبالتالي فإنه جعل أمر توحيد أجزاء المملكة مرة أخرى شيئا صعبا[7].

---

[1] ن. سعدون: المرجع السابق، ص 387.

[2] ن. سعدون: المرجع نفسه، ص387.

[3] علي. منتصر. الكتاني: المرجع السابق، ص51.

[4] أ. حومد: المرجع السابق، ص132.

[5] ومن هذه الشروط: أ. أن يحارب عمه أبا عبد الله الزغل، ب. أن يتخلى على تسميته لملك غرناطة، ج. أن يحمل بدلا من ذلك لقب دوق ومركيز وادي آش، أنظر المقري: المصدر ج5، ص515.

[6] ن، سعدون: المرجع السابق، ص387.

[7] أ. حومد: المرجع نفسه، ص133.

وفي عام 891هـ / 1486م ظهر أبو عبد الله في حي البيازين ومن حوله أنصاره، وأسند فرديناند بالرجال والعتاد والتموين[1] وبعد أن حارب أباه أياما اضطر إلى الإنسحاب إلى المرية واتخذها قاعدة له وشرع يهاجم منها المناطق الخاضعة لأبيه، ويعيث فيها فسادا وتخريبا وتتالت الأحداث بين الأب والإبن من جهة بين الأب والاسبان من جهة أخرى، وكان الاسبان قد أرهقوا المملكة واستولوا على كثير من حصونها وقلاعها ومدنها. وساءت صحة أبو الحسن، وكف بصره ولم يعد قادرا على حمل أمانة الحكم فتنازل عن العرش لأخيه الزغل، تسلم الحكم في ظروف صعبة جدا، رغم أنه كان رجلا شجاعا مقداما، إلا أن الظروف المحيطة بالمملكة أقوى منه وكانت قوته أدنى من قوة خصومه بكثير[2].

انتهز القشتاليون هذه الفرصة وزحفوا على لوشة مرة أخرى فحاصروها، ثم دخلوها في سنة 891هـ / 1486م[3].

تحرك فرناندو على رأس جيش مؤلف من 60.000 رجل، فعلم أبو عبد الله بذلك فأسرع وعلى رأس قواته للدفاع عنه، ودخل الحصن ليشترك في أعماله الدفاع مع الحامية. وجاءت القوات الإسبانية فأحاطت بالحصن وأخذت تقصف أسواره ومنشآته بالمدفعية، واستمر الحصار مدة شهر كامل، فأحدثت المدفعية كثيرا من التخريب في التحصينات ووسائل الدفاع، فضعفت همة المدافعين، وشعروا بعدم جدوى المقاومة، فشرع أ عبد الله في مفاوضة فرناندو، لتقرير شروط التسليم وقع أبو عبد الله اتفاقين مع فرناند أحدهما سري والآخر علني، أما السري منهما فإنه يتضمن:

---

[1] ع. الذنون: المرجع السابق، ص49.

[2] أ. حومد: المرجع السابق، ص 133.

[3] علي. منتصر. الكتاني: المرجع السابق، ص52.

أ. استعداد أبي عبد الله لتسليم غرناطة عاصمة ملكه إلى الاسبان إذا تمكنوا إخضاع عمه الزغل.

ب.قبول أبي عبد الله بأن يستبدل بلقبه الحالي ملك غرناطة لقب دوق وادي آش، اعترافا منه بتبعية لملكي إسبانيا.

ت.تبقى شروط المعاهدة السرية، في طي الكتمان أن يتم إخضاعها الزغل[1].

أما المعاهدة العلنية تضمن الأمان لأهل لوشة على أنفسهم وأموالهم الذي يرغبون بمغادرة المدينة إلى أي جهة يشاءون فغادروا إلى غرناطة على أن يسلموا المدينة إلى الملك فرناند ومع سائر الأسرى النصارى، وغادر لوشة[2] ومعهم مرة أخرى أبا عبد الله ثم استولى النصارى على سلسلة من الحصون منها مقلين والبورة وقلنبيرة[3].

وقد حقق فعلا بعض الانتصارات على الاسبان لكن ذلك لم يكن له نتيجة عملية ولم يمنع تساقط الحصون والقلاع بيد الإسبان[4].

الفرع الثالث: انقسام المملكة بين الزغل وأبو عبد الله

كانت مملكة غرناطة تشهد حربا أهلية بين الزغل الذي يريد أن يبسط سيادته على سائر أنحاء المملكة، وابن أخيه يوسف أبي الحجاج بن علي في المرية، سار إليها الزغل ودخلها وقتل يوسف، ولكن ما أن عاد الزغل إلى غرناطة حتى عادت الفتنة من جديد، فقد كان الاسبان قد أطلقوا سراح الملل الأسير أبو عبد الله محمد[5] وهكذا اشتغل الغرناطيون عن مقاتلة

---

[1] أ. حومد: المرجع السابق، ص133.

[2] ن. سعدون: المرجع السابق، ص389.

[3] علي. منتصر. الكتاني: المرجع السابق، ص52.

[4] أ. حومد: المرجع نفسه، ص133.

[5] ن.سعدون: المرجع السابق، ص388.

النصارى بمقاتلة بعضهم بعض وهذا ما كان يخطط له قشتالة. وبعد فتنة دامت شهرين اتفق أبو عبد الله والزغل على تقسيم المملكة[1].

فمنح لأبي عبد الله الأنحاء الشمالية والغربية وجعل من حي البيازين مقرا له في حين تحصل عمه الزغل على الانحاء الشرقية والجنوبية مع الحمراء ليجعل منها مقرا له[2].

اندلعت الفتنة في حي البيازين داخل مدينة غرناطة بتحريض من أبي عبد الله محمد وكان سكان الحي من عناصر الفتنة والإضرابات انشغل الزغل بإخمادها عن قتال القشتاليين، وهذا ما كان يبغيه مالكا قشتالة، ودامت الحرب الأهلية بين الزغل وابن أخيه محمد[3].

تبوأ أبو عبد الله محمد بن سلطان علي أبي الحسن العرش غرناطة للمرة الثانية[4]، في سنة 1486م فظهر أبو عبد الله من جديد في المناطق الشرقية، ثم ظهر في البيازين، وأمده ملك قشتالة بالعدة والرجال فضيق على عمه الزغل وأذاع عقد الصلح مع النصارى، وفي نفس الوقت سير النصارى جيشا على بلش مالقة في 892هـ / 1487م فهرع الزغل إلى حمايتها لأهميتها الكبرى، لكنه لم يفلح في إنقاذها من السقوط في يد النصارى في 892هـ / 1487م.

وإبان غيابه قامت غرناطة بمبايعة أبي عبد الله في 892هـ /1487م الذي أقنعهم بسياسة المهادنة مع النصارى فارتد الزغل إلى وادي آش وهكذا انقسمت المملكة الصغيرة مرة أخرى

---

[1] علي. منتصر الكتاني: المرجع السابق، ص51.

[2] ن. سعدون: المرجع السابق، ص389.

[3] ن. سعدون: المرجع نفسه، ص.389.

[4] محمد عبد الله. عنان: المرجع السابق، ص215.

إلى مملكتين، الزغل في زادي آش وأبو عبد الله في غرناطة وتحقق بذلك ما أراد ملك قشتالة[1].

استسلام الزغل:

انتهز ملك قشتالة الصراع داخل غرناطة، فأخضع حصن بلش[2]، وسقطت الحصون المجاورة منها حصن قمارش ومونتميور[3] ورندة وذكوان وإليورة[4] ثم حاصر مالقة أمنع ثغور الأندلس وكانت بعد سقوط جبل طارق الصلة الوحيدة مع المغرب حيث كانت تصلها الامدادات وكان الاستلاء على المدينة يقطع الصلة بين الأندلس والعالم الخارجي فزحفوا على مالقة وحاصروها برا بحرا بقوات كبيرة في 892هـ / 1487م[5].

لتسقط بعد ثلاثة أشهر، ورغم الدفاع المستميت الذي أبداه أمير الزغل وذلك في سنة 892هـ/ 1487م[6]. ودخل النصارى دخول الفاتحين وأساءوا إلى النساء والأطفال ونهبوا الأموال والمتاع، وفر من استطاع من المسلمين إلى غرناطة أو وادي آش، وكان هذا التفرق نموذجا لما يضمره ملك النصارى نحو معاملة المسلمين المغلوبين، ولم تنطوي عليه سياسته من نكث للوعود والعهود وتقول الرواية الإسلامية في وصف محنة أهل مالقة وكان مصابهم مصابا عظيما تحزن له القلوب وتذهل له النفوس وتبكي لمصابهم العيون[7].

---

[1] ع. م. الكتاني: المرجع السابق، ص53.

[2] ع. شبارو: المرجع السابق، ص289.

[3] ن. سعدون: المرجع السابق، ص390.

[4] ع. م. الكتاني: المرجع نفسه، ص55.

[5] ن. سعدون: المرجع نفسه، ص390.

[6] علي. منتصر. الكتاني: المرجع السابق، ص53.

[7] محمد. عبد الله. عنان: المرجع السابق، ص218.

واستغاث الزغل بدول الإسلام جميعا المغرب وافريقية ومصر والقسطنطينية ولا من مغيث إلا بعض المتطوعة المغاربة، ثم تحول النصارى إلى احتلال أراضي الزغل الشرقية، فاستولوا سنة 893هـ/1488م على بيرة وبلشيق وأشكر، واستسلم أهل المنكب بعد حصار طويل في سنة 895هـ/1489م، فكان ثاني أهم الموانئ الإسلامية التي وقعت في يد العدو بعد مالقة، ثم أحكم النصارى حصارهم على بسطة، أهم مدن الزغل الشرقية في مستهل سنة 894هـ/ 1488 فاستلمت في سنة 895هـ/ 1489 ثم استسلمت المرية في 895/ 1490م وهكذا سيطر القشتاليون على جميع أراضي الزغل سوى وادي آش مقر ملكة، فحاصر النصارى فيه فلما لم يرى الزغل مناصا من الاستسلام خرج إلى معسكر فرناندو يعرض عليه طاعته والانضواء تحت لوائه[1]. وكذلك أقنعه في هذا الأمر إبن أخيه حيث كلفته الملكة بهذه المهمة الخسيسة، وهي العمل على استسلام عمه الزغل فأقنعه بعدم جدوى المقاومة[2] فدخل القشتاليون مدينة وادي آش في أوائل صفر عام 895هـ/ 30 ديسمبر 1489م، وعقد زغل معاهدة سرية مع النصارى[3].

ونصت المعاهدة على البنود التالية:

أ- يتعهد الزغل بأن يسلم ما بيده، وأن يحمل الحصون الخاضعة له على الاستسلام، وهي حصون مقاطعة المرية وموتريل ووادي آش.

ب-يتنازل عن كل حق أو دعوة بملكية هذه الحصون.

ت-يتعهد الملكان لقاء ذلك بتأمين السكان على أرواحهم وأموالهم مع منحهم حق العيش في المملكة كمد جنين.

---

[11] علي. منتصر. الكتاني: المرجع السابق، ص53.

[2] أ. حومد: المرجع السابق، ص142-143.

[3] علي منتصر الكتاني: المرجع السابق، ص53.

ث- يحتفظ الزغل بملكية أندرش وبملكية البشرات ووادي الكرين ويتسمى باسم ملك أنرش.

ج- يحق للزغل الاحتفاظ بألف رجل من أتباعه[1].

أثمرت خيانة النيرة وذلك بإقناع عمه الزغل بالاستسلام والانضواء تحت لواء فرناندو لأن ليس له أمل بالنصر وكان وراء هذه الغاية مقابل حيث تعهد ملك قشتالة لنير بأنه سيكافئ ب10 آلاف ريال[2]، لكن الزغل لم يطبق حياة الذل هذه المدة، فتنازل عن جميع حقوقه للطاغية، وجاز البحر إلى وهران ثم انتقل إلى تلمسان حيث كان استقراره وهاجر معه إلى تلمسان عدد من أتباعه[3].

المبحث الثاني: نهاية المملكة الإسلامية وقيام إسبانياالكاثوليكية

المطلب الأول: بداية النكسة

بعد سقوط المدن في الأندلس لم يبقى منها إلا غرناطة تنتظر قدرها، ورأى ملكا الإسبان أن الوقت قد حان للاستعلاء عليها، وبذلك تنتهي حرب الاسترداد[4]. قام فريناند وإيزابيلا ببعث رسالة إلى عبد الله الصغير يأمره بتسليم غرناطة وقصور الحمراء، فثارت ثائرة أبي عبد الله لهذا الخيانة، وعرف جسامة الخطأ وهوة المنزلق الذي انزلق فيه بتحالفه مع الملك الغادر، وعادت الحرب من جديد بين المسلمين والنصارى، غرناطة أضحت الملاذ الوحيد للمسلمين في الأندلس بعد سقوط مدنها وقواعدها على يد النصارى، فهرع إليها كل مسلم أبي أن يخضع للنصارى حتى بلغ عدد المقيمين بها أكثر من 400.000 نسمة يغمرهم الحقد على النصارى الذين أذلوهم وهجروهم من مدنهم وقراهم بلا ذنب، فرفضوا الاستسلام وقرروا القتال حتى الموت وبدأ المسلمون يعبرون على أراض النصارى، فرد فرناندو بأن أغار على

---

[1] أ. حومد: المرجع السابق، ص143.

[2] ن. سعدون: المرجع السابق، ص292.

[3] علي. منتصر. الكتاني: المرجع السابق، ص53.

[4] ن. سعدون: المرجع السابق، ص393.

غرناطة حتى وصل أسوارها، فتصدى له المسلمون وعلى رأسهم أبي عبد الله وردوه أن كبدوه خسائر فادحة في سنة 895هـ/ 1890م عندها عمد فرناندو إلى تحصين الحصون القريبة من غرناطة مثل حصن برج الملاحة وهمدان وغيرها، وسار أبو عبد الله في قواته فاسترد قرية البذول وغيرها وأثار أهل البشرات واودي آش وفتح أبو عبد الله حصن أندرش جنوب شرق غرناطة ووضع حاميات في المناطق التي استعادها في سنة 895هـ / 1490م[1].

وفي رمضان فتح قرية همدان المحصنة وأسر حاميتها النصرانية وحاول استعادة ثغر المنكب لإعادة الصلة بين الأندلس والمغرب واستولى أثناء زحفه على حصن شلوبانية، وعلم النصارى فأرسلوا نجدات من بلش ومالقة لإنجاد حاميته، فارتد عن ذلك فأدرك أنه لم يستطيع مقاومة هذه القوة لما سمع بالخبر زحف أبي عبد الله على المنكب هاجم فرناندو مرج غرناطة فكان قد تخوف من ثورة المسلمين في وادي آش خاصة أن النصر الذي أحرزه المسلمون قد أذكي حماس الثوار وأخرجهم من وادي آش إلى السهول، وهنا بادر أبو عبد الله بمساعدتهم على نقل عائلاتهم وأموالهم إلى غرناطة وبعضهم انتقل إلى المغرب[2].

وأفرغت المنطقة من سكانها فأرسل فرناندو النصارى لتعميرها واغتنم أبو عبد الله الفرصة فاستولى على حصن أندرش للمرة الثانية مع غيره من الحصون، عندها أدرك فرناندو لا بد من الاستيلاء على غرناطة التي أضحت تثير روح الثورة ضد الإسبان[3]، وعليه خاف طاغية قشتالة من هذه الانتصارات الإسلامية[4].

---

[1] ع. الذنون، أفاق، المرجع السابق، ص50.

[2] ن. سعدون: المرجع السابق، ص394.

[3] ن. سعدون: المرجع نفسه، ص395.

[4] علي. منتصر. الكتاني: المرجع السابق، ص54.

المطلب الثاني: حصار مملكة غرناطة

سار فرناندو في أوائل سنة 896هـ /1491م، على رأس 50.000 جندي، إلى مرج غرناطة وأخذ في إحراق القرى والمزارع[1].

فجردوها من كل مقومات القوى والحصانة لديها، فافتكوا منها ثغورها الحامية، ومدنها وكل القلاع والحصون، وقطعوا كل صلة بالمغرب، ومنع وصول أي نوع من المؤونة إلى المدينة[2].

أقام معسكره في المكان المعروف الآن سانتافيه، ثم حضرت الملكة، ليثبت وجودها الحماسة والنخوة في رؤوس القادة والفرسان، وكان أهل غرناطة يخرجون لقتال أعدائهم، ويوقعون بهم الخسائر الكبيرة، ثم اهتدى الاسبان إلى المسالك التي تمول عن طريقها غرناطة فسدوها بالرجال، وضيقو الخناق على المدينة في محاولة على إجبارها على الاستسلام[3].

وبينما كان الحصار يسير سيره، ويفعل فعله، وقع حريق في المعسكر الاسباني وكان متكون من الأخشاب، فقرر الملكان إلى إقامة معسكر مبني من الحجارة مكان المعسكر المحترق وسمياه سنتافيه[4]، وقد دافع المسلمون عن قصرهم حتى قصر عنها العدو من كثرة ما قتل عليها من الخيل والرجال، ولم تزل الحرب متصلة بين المسلمين والنصارى في كل يوم مرة في أرض الفخار ومرة في أرض بليانة[5] ومرة في أرض رسانة[1] ومرة في أرض طفير ومرة في أرض يعمور وتارة في أرض الجدوى ومرة في أرض رملة أفلوم ومرة في أرض الربيط

---

[1] أ. حومد: المرجع السابق، ص146،145.

[2] ي. ش. فرحات: المرجع السابق، ص64.

[3] أ. حومد: المرجع السابق، ص146.

[4] سانتافيه: قرية قرب غرناطة يحيط بها سهول واسعة ومياه متدفقة وهي شبيهة بقرية من البقاع الشامل.

[5] بليانة: قرية من أعمال غرناطة عدد سكانها900، من حصيلتها الزيت.

ومرة في وادي منشيل وغير ذلك من المواضع التي على غرناطة، وفي كل ملحمة من هذه الملاحم يتخذ الكثير من أنجاد الفرسان بالجراحات من المسلمين ويموتون آخرون، ومن النصارى أضعاف ذلك، والمسلمون فوق ذلك صابرون يحتسبون واثقون بنصر الله تعالى، ومع ذلك لم تزل الحرب متصلة بين المسلمين والنصارى والقتل والجراحات فاش بين الفريقين سبعة أشهر إلى أن فنيت خيل المسلمين ولم يبقى إلا القليل وفني أيضا من نجدة الرجال[2]، وأخذ جيش فرناندو وإيزابيلا يحاصر لمدة، ولكن المحنة كانت كبيرة وفوق طاقة الغرناطيين، حيث أخذ الجوع والمرض يفتك بالمسلمين[3].

عندها أدرك سلطان غرناطة أبوعبد الله ووزراؤه أن المقاومة لا طائل منها، فأرسل وفدا إلى فرديناند يطلب التفاوض ووقف القتال لمدة سبعين يوما، وأدت المفاوضات إلى عقد معاهدة تحدد شروط تسليم غرناطة[4].

ولم يعترض على تسليم إلا القائد الصنديد موسى بن أبي غسان الذي روي بدمه هضبة الحمراء المنحدرة باتجاه نهر حدارة حيث قال:" اتركوا العويل للنساء والأطفال، فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لإرسال الدمع، ولكن لتقطر الدماء، وإني لأرى روح الشعب قد حبت حتى لا يستحيل علينا أن تنفذ غرناطة وسوف تحتضن أمنا الغبراء أبنائها أحرارا من أغلال الفاتح وعسفه، ولئن يظفر أحدنا بقبر يستر رفاته، فإنه لم يعدم سما تغطيه "، وقال أيضا:" إنه لغير في أن أحصي بين اللذين ماتوا دفاعا عن غرناطة، من أن أحصي بين اللذين شهدوا تسليمها "، ولكن في حالة الاستسلام كان تهمين على جميع الحاضرين في قصر الحمراء

---

[1] رسانة: أو مرسانة أو رشانة هي من أعمال غرناطة سكانها 3800.

[2] المؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، طبعة وعلق عليه الفريد البستاني، القاهرة، الناشر مكتبة الثقافة الريفية، ط1، 2002، ص38.39.

[3] ع. الذنون: المرجع السابق، ص51.

[4] أحمد رائق: وتذكروا من الأندلس الإبادة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص105.

فلم يجد لكلماته المنيرة أي صدى ومعنى لديهم فيها كان منهم إلا أن غادر المجلس مخترقا بهو الأسود، " كوردة السباع "في قصر الحمراء، عابسا حزينا، فذهب إلى داره وأخذ سلاحه، وامتطى صهوى جواد مخترقا غرناطة التي احتلتها الأسبان ولم يبقى لهم سوى استلاء على قصر الحمراء الواقع على الهضبة. وبالقرب من نهر حدارة (شنيل) وجد موسى بن أبي غسان مجموعة من الفرسان والأسبان حوالي خمسة عشرة وطلبوا أن يقف ويعرف نفسه، فما كان منه إلا أن انقض عليهم وأخذ يمزقهم شر تمزيق، ولقد كانت ضرباته الفولاذية قاتلة للمحتلين الأوغاد، حتى لاقى معظمهم مصرعهم، لكنه في النهاية أصيب بجروح سقط على إثرها من ذلك أخذ وكيل للبقية الطعنات من خنجره، ضاربا أروع المثل في الشجاعة والاستبسال فسقط شهيدا في مياه نهر شنيل[1].

المطلب الثالث: قيام الدولة الكاثوليكية

الفرع الأول: استسلام مملكة غرناطة

أما في قصر الحمراء فقد شكل وفد للتفاوض مع فرديناند وإيزابيلا حيث انتهت تلك المفاوضات بتوقيع الاتفاقية الجائرة والتي من ضمن بنودها تسليم قصور الحمراء لفرناند وإيزابيلا[2].

ففوض السلطان أبو عبد الله الأمر للجماعة التي اتفقت على التسليم ومفاوضة ملك قشتالة اختارت الوزير أبا القاسم عبد المالك للقيام بهذه المهمة في 1491هـ/ 1896م وذهب عبد الملك إلى معسكر فرناندو حاملا العرض استقباله بحفاوة وكلف لمفاوضة أمينه فرناندو دي ثافر والقائد جونز الفودي كريا واستمرت المفاوضات عدة أسابيع متواصلة توصل الفرسان

---

[1] ع. الذنون: المرجع السابق، ص50-51.

[2] ع. الذنون: المرجع السابق، ص52

أن الاتفاق على صيغة التسليم وافق عليها الملكان، ووقعت في سنة 894هـ/ 1491م، تحدد تسليم المدينة خلال ستين يوما من توقيع المعاهدة وكيفية التسليم، وشاع بين الغرناطيين أن القائد تلقوا رشاوى من القشتاليين للموافقة على الشروط[1] وكانت الشروط سبعة وستين شرطا[2].

وكذلك أبرمت في اليوم الثاني وقعت فيه معاهدة التسليم معاهدة سرية تعطي للسلطان أبي عبد الله امتيازات متى نفذ تعهداته التي تضمنها المعاهدة، عاد الوزير أبو القاسم ومعه ابن كماشة حاملين شروط التسليم يصحبها لفرناندو دي ثافرا، وجمع السلطان الأعيان في بهو قمارش وعرض عليهم الشروط حيث تمت الموافقة عليها، حملها المبعوث القشتالي إلى سيده فرناندوا موقعة من السلطان[3].

ساد الحزن على غرناطة وسارت الشائعات عن خيانة السلطان والوزراء وأنهم حققوا مكاسب من عملية الاستسلام، فحدثت انتفاضة إذ صمم الشعب القتال، خشي السلطان أن تقضي حركة الشعب على خططهم فعجلوا في تسليم المدينة دون انتظار حلول مدة ستين يوما المقررة في نص المعاهدة، ففي 894هـ / 1491م أرسل أبو عبد الله وزيره ابن كماشة مع 500 من الرهائن إلى فرناندو وحمله هدية ثمينة واتفق مع ملك قشتالة على تسليم المدينة 2 جانفي 1492م/ 25 ربيع الأول، أي بعد 39 يوم من توقيع المعاهدة[4].

---

[1] محمد. عبد الله عنان: المرجع السابق، ص67.

[2] الناصري أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القسم الثاني، ج4، ت، جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1955، ص104. لكن عند محمد عبد الله عنان: في كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ج3، ص230، يجعلها ستة وخمسون شرطا فقط، كذلك نصر الله سعدون في كتاب العرب السياسي في الأندلس يجعلها ستا وخمسين مادة، ص40.

[3] محمد. عبد الله. عنان: المرجع السابق، ص398.

[4] محمد. ع.بد الله عنان: المرجع نفسه، ص399.

اشترط ملك قشتالة قبل أن يدخل غرناطة أن يقدم إليه أهلها 500 من أعيان المدينة بمثابة رهينة خشية أن يغدروا بجيشه[1].

وفي اليوم المحدد أرسل الملك فرناندو ثلاثة ألاف جندي مع سرية من الفرسان بقيادة الكاردينال بيدرون مندوسا مطران اسبانيا إلى المدينة، دخلوا قصر الحمراء، ثم دخل الجيش القشتالي المدينة وسلمهم الوزير ابن كماشة القصور والأبراج فرفعت فوقها الصلبان والأعلام القشتالية[2].

فانتهت الدولة الإسلامية في الأندلس وطويت تلك الصحف المجيدة المؤثرة من التاريخ الإسلامي، وقضي على الحضارة الإسلامية الأندلسية الباهرة وآدابها وعلومها وفنونها، وكل ذلك التراث الشامخ بالفناء والمحو[3].

الفرع الثاني: هجرة آخر ملوك بني نصر

وغادر أبو عبد الله عاصمته التي سقطت[4]، حيث وقف على المكان الذي يعرف باسم زفرة العربي[5]، حيث أن الملك أبي عبد الله محمد آخر ملوك غرناطة، حينها غادر ملكه وبلاده وقف يبكي في هذا المكان لإلقاء آخر نظرة على وطنه بينما تقول له أمه الأميرة عائشة:"ابكي مثل النساء ملكا مضاعفا لم تحافظ عليه كالرجال"[6].

---

[1] عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة البيرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، ط1، 1969م، ص404.

[2] م. ع. عنان: المرجع السابق، ص399.

[3] علي حسين الشطشاط: نهاية الوجود العربي في الأندلس، القاهرة دار قباء للطبع والتوزيع، 2001، ص67.

[4] م. ع. عنان. المرجع السابق. ص399.

[5] يعرف باسم حوز الوداع أو جور الوداع وهو المكان الذي اعتاد فيه الغرناطيون توديع أهاليهم وأحبائهم قبل رحيلهم إلى المشرق أو المغرب بهدف التجارة أو الحج أو طلب العلم هذا يعني أن الاسم كان معروفا لدى الغرناطيين من القديم.

[6] أ.م. العبادي: في تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص335.

انتقل إلى المغرب حيث جاز البحر في أوائل شهر أكتوبر سنة 1493م[1]، وبعد توقيعه المعاهدة الأخيرة التي تقضي بيع أملاكه كلها للملكين الكاثوليكيين ومغادرة الأندلس نهائيا[2].

وفي سنة 898هـ/ 1494 من ميناء غدرة غادر أبو عبد الله الصغير مع أولاده ووالدته وكل حاشيته أرض مملكته، متجهين صوب إفريقية، بلغ هؤولاء المهاجرين مع الملك أبي عبد الله إلى فاس عاصمة المغرب حيث استقبلهم السلطان أبوا عبد الله الشيخ الوطاسي 876-910هـ/ 1472-1504م بحفاوة، وعهد عليهم بمناصب إدارية وحربية ذات أهمية كبيرة وابتنى أبو عبد الله بفاس التي استقر فيها بعض القصور على طراز بنيان الأندلس[3].

وبعد ذلك بزمن توفي بفاس وقد اختلف المؤرخون بتاريخ وفاته، فجعله المقري في كتابه "أزهار الرياض الجزء الأول" سنة 924هـ/ 1518م، والغالب أن هذا الكتاب وقع فيه تحريف لأنه عاد وذكر في كتابه "نفح الطيب" الجزء السادس أن تاريخ وفاته سنة 940هـ/ 1534م وأنه دفن بإزاء المصلى خارج باب الشريعة، وخلف ولدين اسم أحدهما يوسف والآخر أحمد ووفاقه الناصري مؤلف الكتاب "الاستقصاء" الجزء الرابع على ذلك أما مانويل كاستيانوس في كتابه "تاريخ المغرب والأسرة المالكة" فزعم كما زعم غيره من مؤرخي الاسبان. أن أبا عبد الله قتل في معركة أبي عقبة التي وقعت بين ولي نعمته وحاميه السلطان الوطاسي أبي العباس أحمد وبين خصمه أبي العباس أحمد السعدي في صفر سنة 943هـ/ 1536م ولا يخفى ما ترمي إليه الرواية الإسبانية من وراء هذا الزعم يفتح له المجال للسخرية من هذا الملك المطرود المنكود، وللتهكم عليه لأنه مات موت الأبطال بحرب مغربية أهلية دفاعا عن مملكة غيره بينما لم يجرؤ أن يموت دفاعا عن مملكته ضد الإسبانيين، وغني عن البيان

---

[1] ع. الشطشاط: المرجع السابق، ص68.

[2] أ. رائق: المرجع السابق، ص360.

[3] محمد. عنان. حتاملة: المرجع السابق، ص623، 624.

أن مانوال كاستيانوس وأمثاله مخطئون لأن تاريخ وقعة أبي عقبة لا يتوافق مع السنة التي توفي فيها أبوا عبد الله على وجه التحقيق[1].

وأخيرا تخلصت المملكة القشتالية من كل منافس لها في أرض شبه الجزيرة للمسلمين وخلصت نهائيا من سيطرتهم وحكمهم الذي دام ثمانية قرون كاملة وهكذا عادة الحدود القديمة مشكلة في جبل طارق ومياه البحر المتوسط إذ ما كانت عليه أول العقد الأخيرة من القرن الأول الهجري الموافق للعقد الأول من القرن الثامن ميلادي لكي تفصل بين دولة الإسلام في البر الإفريقي ودولة الم ودولة المسيحيين في البر الأوروبي[2].

نكبة المورسكيين:

إكراه المسلمين على التنصر:

فلما راي ملك الروم أن الناس قد تركو الجواز وعزمو على البقاء في وطنهم أخذ في نقض الشروط التي شرطو عليه أول مر واستطال النصارى وفرضت عليهم الفروضات وثقلت عليهم المغارم وقطع لهم الاذان من الصوامع وأمرهم بالخروج من مدينة غرناطةإلى الارياف و القرى فخرجو أذلة من بعد ذلك دعاهم الى التنصر وأكرههم عليه، وذلك سنة اربع وتسعمائة فدخلو في دينهمكرها وصارت الاندلس كلها نصرانية ولم يبقى من يقول لااله الا الله محمد رسول الله الا من يقولها سر في قلبه وفي خفية من الناس وجعلت النواقيس

في صوامعها بعد الاذان وفي مساجدها الصور و الصلبان بعد ذكر الله وتلاوة القرآن ولم يقدرو على الهجرة و اللحاق بإخوانهم المسلمين قلوبهم نارا وينظرون لاولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للاوثان ويأكلون الخنزير والميتة

---

[1] محمد عبده حتاملة: الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، الأردن، طباعة مطابع الدستور التجارية، 2000، ص625،633.

[2] محمد. ع. حتاملة: المرجع السابق، ص62.

ثورة المدجنيين:وقد كان بعض أهل الاندلس امتنعو من التنصر وأرادوأن يدافعو عن أنفسهم كأهل قرية ونجر والبشرة وأندرش وبلفيق فجمع عليهم ملك الروم مجموعة وأحاط بهم من كل مكان واستعبدهم ، إلاأن أناسا من غربي الاندلس امتنعو من التنصر و انحاز والى جبل وعر منيع فاجتمعو فيه بعيالهم و أموالهم وتحصنو فيه فجمع عليهم ملك الروم مجموعة وطمع في الوصول اليهم كما فعل بغيرهم فلما دنى منهم و أراد قتالهم فخيب الله سعيه ورده على عقبه ونصرهم عليه فقتلو من جنده خلقا كثيرا من رجال وفرسان فلما رأى انه لا يقدر عليهم طلب منهم أن يعطيهم الامان و يجوزهم لعدوة المغرب مؤمنين فأمن لهم ذلك إلا أنه لا يسرح لهم شيئا من أموالهمغير الثياب التي كانت عليهم وجوزهم لعدوة المغرب كما اشترطو عليه ولم بطمحاحد بعد ذلك أن يقوم بدعوة الاسلام وعم الكفر جميع القرى والبلدان وانطفى من الاندلس الاسلام والايمان.[1]

أن اول من هاجر أهل مالقة الذين نزح والى باديس في المغرب وخرج أهل ألمرية ونزلو تلمسان ونزل اهل الجزيرة الخضراء في طنجة واستقر اهل رندة وبسطة وحصن مرتيل في تطوان وهاجر اهل دانية الى تةنس والقيروان والجزائروخرج مابقي من اهل غرناطة الى بجاية ةةهران وسوسة وسفاقس وقابس وبعد ذلك ظهر حقد الملكين المسيحين بحرق الكتب العربية وايضا التنصير القصري

كانت هته بالسياسة التعسفية التي رافقها احراق خمسين كتاب وفي الوقت نفسه عين الاب خمنيس رئيسا لديوان مجمع القضاة الايمان الكاثوليكي بما يعرف بمحاكم التفتيش والتي تأسسست في اسبانيا منذ القرن الثالث عشر ولقد اقام الملكان الكاثوليكيان محاكم التفتيش اولا في اشبيليا عام 1480

وفي جميع المدن الاندلسية التي سيطرو عليها وكانت هته المحاكم سلاحا فتاكا بيد الكنيسة تسحق به كل من لم يذعن لاوامرها فكان من نتائج خمنيس التعسفية قيام عدة

[1] محمد المنوني و زملاؤه، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، الدار البيضاء، شركة النشر و التوزيع، المدارس، 1991، ط1، ص200.

ثورات منها

ثورة البيازين في غرناطةعام 1499

ثورة البشارات1501

وبعد هته الثورات اضطهد المورسكيين فاحرقت المساجد وقتلت نساء المورسكيين واطفالهم وعلى الرغم من سياسة الاضطهاد والعذاب لكن بقي المورسكيين يحافظون على اسلامهم بصفة سريةوكانويغلقون بيوتهم يوم الاحد موهمين الميسحين بانهم ذهبو للكنائس وعندما يعد اطفالهم يهرعةن غسلهم بعد رجوعهم الى المنازل وكانو يجرون حفلات زواجهم بالشكل الاسلامي بسرية تامة مباشرة بعد مراسيم الزواج في الكنيسة.

وقد ارسل المورسكيين رسائل استغاثة الى السلطان العثماني بيازيد الثاني ثم انهم ارسلو استغاثة اخرى الى السلطان المملوكي قانصوه الغوري لكن الملكان المسيحيين بهائهما استطاعا ان يسيرا الامر لصالحهما

ولم يكتفيا الملكان المسيحيان باضطهاد المسلمين في الاندلس بل لاحقوهم حتى بلاد المغرب حيث كانت الغارات الاسباني على سواحل المغرب بالخصوص ما كان من حروب الثلاثمائةعام على مدينة وهران.[1]

[1] خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، لبنان، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004، ص307.

خاتمة

بعد الإنتهاء من بحثنا هذا استنتجنا جملة من النتائج منها ما كان إجابة عما طرح من تساؤلات في مقدمة البحث، ومنها ما كان استنتاجا إلى ما توصلنا إليه من خلال معالجتنا لهذا الموضوع.

كان فرناندو الخامس أو فرناندو الكاثوليكي ذا مجاولة سياسية وذكاء خارق بالإضافة إلى تمتعه بالقدرة الفائقة في الإدارة والسياسة والحرب أميرا لا مثيل له، يجنح في سياسته إلى الغدر ومجانبة الوفاء، وكان رجل الفرصة السائحة يلتمس إلى تحقيق أطماعه الكبيرة أي الوسائل، مهما ابتعدت عن المبادئ الأخلاقية المقررة ومقتضيات الفروسية والوفاء، كما ظهر ذلك من قبل في سيرته، وكما سيظهر من بعد في تصرفاته ومعاملته للأمة الأندلسية المغلوبة.

وكانت زوجه الملكة إيزابيلا تتمتع بكثير من الذكاء والعزم، وكانت تثير رقتها وتواضعها واحتشامها حب الشعب القشتالي وإعجابه، بيد أنها كانت تجيش بنزعة صليبية عميقة تذهب كثيرا مذهب التعصب الأعمى، وكانت تقع تحت تأثير الأحبار المتعصبين وتنزل عند تحريضهم وتوجيههم، وكان مشروع القضاء على الإسلام في الأندلس يذكي في نفس هذه الملكة الصليبية (التي تنعت أيضا بالكاثوليكية) أشنع ضروب التعصب، ويحملها على مؤازرة ديوان التحقيق الإسباني، أو ما عرف خطأ بمحاكم التفتيش، فكانت تقر كل ما جنح إلى ارتكابه هذا الديوان من الجرائم باسم النصرانية.

وفي الوقت الذي استقر الملك فيه للملكين الكاثوليكيين تحت راية إسبانيا الموحدة القوية، كانت مملكة غرناطة تدخل بعد سلسلة من الحروب الأهلية، وإهمال أميرها أبو الحسن علي بن سعد بن الأحمر لشؤون دولته، وركونه إلى الراحة والدعة، وسعيه خلف ملاذه إلى مرحلة خطيرة من الضعف والتمزق، لذلك فما أن استقر الأمر للملكين الكاثوليكيين حتى أشهر الحرب على المملكة الإسلامية، ليبدأ هذا الفصل المأساوي من حياة المسلمين في الأندلس.

بعد دولة ملوك الطوائف في الأندلس سيطرت دولة المرابطين على الأندلس، وبعد سقوط دولة المرابطين سيطرت دولة الموحدين على الأندلس، وكانت الحرب بين أخذ ورد بين المسلمين وسلطانهم من الموحدين وبين ممالك المسيحيين، قشتالة وليون ونافارا.

كان نظام الحكم في الدويلات الإسلامية قائم على أساس الوراثة وانتهاج سياسة المصلحة الذاتية وحبك المؤامرات ضد بعضها البعض، وبالتالي كان حكامها ضعافا في شخصياتهم وانتهجوا سياسة بعيدة كل البعد عن مصلحة بلادهم أدت بهم في الأخير إلى فقدان حكمهم وزوال الوجود الإسلامي في الأندلس ومنها ما حصل من محاكم التفتيش ونكبة المورسكيين وتهجيرهم القصري إلى بلدان المغرب الإسلامي.

كانت فكرة سقوط كامل مدن الأندلس تزامنا مع سقوط دويلات الطوائف، وهذا ما كانت تطمح إليه وتطمع فيه القوة الكاثوليكية المتحدة، بحيث لم يكن من الميسور على مملكة غرناطة البقاء مدة تزيد عن قرنين ونصف، ولقد كان هذا مثير للدهشة والاستغراب للعديد من الباحثين، ووجه الغرابة أن دولة بهذا الحجم الكبير من المساحة والأعداد البشرية، وكذلك مع تلك الفخامة من التكاليف والتضحيات تواجه القوة العددية والإمكانيات الواسعة لدى دول إسبانيا الكاثوليكية التي جعلت مهاجمة مملكة غرناطة هدفا في المقدمة، تجهز العدة وتضع الخطة للظفر بمملكة غرناطة وبهذا يكون التتويج الكامل بسقوط المملكة الإسلامية وقيام المملكة الكاثوليكية

وخلاصة النتائج ان الضعف الذي دب في دولة الاسلام كان بداية من ملوك الطوائف التي تهافتت علىعلى تقسيم الاندلس الى ممالك وذلك لاجل الهجومات الممالك المسيحية على الاندلس في حروب الاسترداوكذلك سقوط الخلافة الاموية في الاندلس وابتداءا من معركة الزلاقة التي حافظت على الاسلام بالاندلس لفترة طويلة وكالمعارك التي خاضها كل من الموحدين وبني الاحمروعنما كان النزاع بين ملوك بني الاحمر سقطت غرناطة وذلك باستغلال المسيحين للخلافوبهذا سقطت دولة الاسلام بالاندلس.

والنتيجة الاكبر ان السبب الرئيسي لسقوط اي دولة هو النزاع الذي يدب بين اطرافها.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية :

إ. ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر، السيد عبد العزيز سالم، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990.

ابن أبي زرع " أبو العباس أحمد الفاسي "، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتارخ فاس، دط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

ابن أبي زرع، علي بن عبد الله، ت726هـ / 1325م. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، دار المنصور، للطباعة والوراقة، د "، 1972.

إبن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1985، دت، ج2.

ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة بأخبار غرناطة، مكتبة خانجي، القاهرة، ط1، 1484.

ابن الخطيب محمد بن عبد الله، ت 774هـ/ 1373م، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (تاريخ إسبانيا الاسلامية)، تح: ليفي بروفنسال، لبنان، دار المكشوف، د ط، 1956.

ابن خاقان، تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الاندلس، تحقيق مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد، 2001.

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن معاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر، سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2000، ج4،6،7.

ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، إحسان عباس، ط3، ج2، دار الثقافة، بيروت، 1983.

أبو رملية هشام، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، عمان، دار الفرقان، ط1، 1984.

أبي القاسم محمد بن أبي العلاء ابن السماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح، عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.

أحمد المختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دط، دار النهضة، بيروت، دت.

أحمد رائق، وتذكروا من الأندلس الإبادة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

أحمد مختاري العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الإسكندرية، منشأ المعارف، ط1، 2000.

أسعد حومد، محنة العرب في الاندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1988،

ج.س كولان، الأندلس، ت : إبراهيم خورشيت، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1980.

الحجي علي عبد الرحمن، التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، لبنان، دار القلم، لبنان، ط2، 1981.

حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس، دط، مكتبة الأسرة، أعمال الفكرية، دم، 2004م

الحميري محمد بن عبد المنعم، ت750هـ/ 1349م، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت 1975.

خليل إبراهيم السمرائي، عبد الواحد ذنوب طه وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ط1، 2000.

الذنون عبد الحكيم، آفاق غرناطة، بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، سوريا، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 1988.

رضا كحيلة، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، جامعة القاهرة، 1997.

السامرائي خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، لبنان، دار المدار الاسلامي، ط1، 2004.

شبارو عصام محمد، الاندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، 91-897هـ / 710- 1492م، لبنان، ط1، 2002.

الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح وتع، إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

طه عبد الواحد ذنون دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، لبنان، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004،

العبادي أحمد مختار، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة الشباب، الإسكندرية.

عبد الحكيم الذنوب، آفاق غرناطة، دار المعرفة، ط1، 1988.

عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة 92هـ. 896هـ / 711م، 1492م، ط2، دار القلم، بيروت، 1981.

عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة البيرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، ط1، 1969م،

عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، من كتاب الروض المعطار، نشر ليفي بروفنصال، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988.

عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت 2006.

عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي الموصود إلى الفردوس المفقود، دط، دار النهضة العربية، لبنان، سنة 2002.

علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005.

علي حسين الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، القاهرة دار قباء للطبع والتوزيع، 2001،

عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مصر، مكتبة الخانجي، ط2، 1990، ج3،4.

فرحات يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، لبنان، دار الجيل، ط1، 1993.

لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد اللهبن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجره ذلك من شجون الكلام، تح، ليفي بروفسال، ط2، ج2، دار المكشوف، بيروت، 1956.

محمد عبد الله عنان، الإحاطة في أخبار غرناطة، مكتبة الخانجي، ط1، سنة 1974، مج 1،2،4.

محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج3، القاهرة، مكتبة خانجي، ط1، 1997.

محمد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، الأردن، طباعة مطابع الدستور التجارية، 2000.

محمد المنوني و زملاؤه، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، الدار البيضاء، شركة النشر و التوزيع، المدارس، 1991، ط1، ص200.

المقري التلمساني أحمد بن محمد،ت1041هـ/ 1632م، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، لبنان، دار صادر، دط، 1988، ج1،4.

المقري، نفح الطيب، تحقيق محمد البقاعي، ط1، ج2 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988.

ابن ابي زرع الاندلسي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دط، دم، دت.

مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت 2007.

مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته، لبنان، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 1992، ج2.

الناصري أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القسم الثاني، ج4، ت، جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1955، ص104.

نصر الله سعدون، تاريخ العرب السياسي الأندلسي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1998.

هشام أبو رملية، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، الأردن، 1984.

واشنطن ارفينغ، أخبار سقوط غرناطة، تر، هاني يحي نصري، بيروت، الانتشار العربي، ط1، 2000.

وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ج1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2005.

الوزان حسين بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، تر، محمد الحجي، محمد الأحضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1383، ج2.

الوزان حسين بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، تر، محمد حجي، محمد الأحضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1383، ج2.

يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة حضارية، بيروت، دار الجيل، ط1، 1993.

الرسائل الجامعية:

بوحسون عبد القادر، الأندلس في عهد بني الأحمر، دراسة تاريخية وثقافية (635- 897هـ/ 1238- 1492م)، رسالة دكتوراه، تلمسان، جامعة أبي بكر بلقايد، 2011.

عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني 633هـ / 962هـ / 1235م 1554م مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 1428هـ 1429هـ / 2007م 2008م.

معاجم

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، (د ت).

ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1996.

ياقوت شهاب الدين الحموي، معجم البلدان، ج5، بيروت، دار صادر، ط1، 1995.

باللغة الأجنبية

Harper, 1857.،M. Florian, History of the Moors of Spain New YorK

قائمة المحتويات

مقدمة ..... أ

مدخل 5

الفصل الأول : مملكة قشتالة وآراغون 21

المبحث الأول: التعريف بمملكتي قشتالة وآرغون 22

المطلب الأول: تأسيس مملكة قشتالة 22

المطلب الثاني: تأسيس مملكة آراغون 25

المبحث الثاني: علاقة قشتالة وآراغون بالمماليك المسيحية انجلترا والبرتغال 27

المطلب الأول: علاقة قشتالة وآراغون بالبرتغال 28

المطلب الثاني: علاقة قشتالة وآراغون مع ليون ونبارة 30

الفرع الأول: العلاقة مع مملكة ليون 30

الفرع الثاني: العلاقة مع مملكة نبارة 32

الفصل الثاني : علاقة مملكتي قشتالة وأرغون بالمماليك الإسلامية 34

المبحث الأول: علاقة المرابطين بممالك النصرانية 35

المطلب الأول: علاقة المرابطين مع قشتالة 37

المطلب الثاني: علاقة المرابطين مع أراغون 39

المبحث الثاني: علاقة المماليك المسيحية بالموحدين 41

المطلب الأول: علاقة الموحدين مع قشتالة والبرتغال 44

الفرع الأول: علاقة الموحدين مع قشتالة 44

الفرع الثاني: علاقة الموحدين مع البرتغال 45

الفرع الثالث: دولة بني الأحمر 46

المطلب الثالث: علاقة مملكة قشتالة بمملكة غرناطة 48

الفصل الثالث : نهاية غرناطة آخر معاقل المسلمين وحروب الإسترداد المسيحية 52

المبحث الأول: مملكة غرناطة 53
المطلب الأول: نبذة حول تأسيس مملكة غرناطة..... 53
الفرع الأول : موقع مملكة غرناطة وحدودها 53
الفرع الثاني: التطور السياسي لمملكة غرناطة 636هـ – 867م / 1239م – 1462م.. 57
الفرع الثالث: العلاقة في الميدان الديني والثقافي والاقتصادي والعمراني 59
المطلب الثاني: اتحاد الممالك النصرانية 884هـ / 1479م 62
الفرع الأول: إتحاد مملكتي قشتالة و أراغون 62
الفرع الثاني: تطور الصراع بين المملكتين قشتالة وآرغون مع غرناطة): 66
الفرع الثالث: انقسام المملكة بين الزغل وأبو عبد الله 82
المبحث الثاني: نهاية المملكة الإسلامية وقيام إسبانياالكاثوليكية 86
المطلب الأول: بداية النكسة 86
المطلب الثاني: حصار مملكة غرناطة 87
المطلب الثالث: قيام الدولة الكاثوليكية..... 90
الفرع الأول: استسلام مملكة غرناطة 90
الفرع الثاني: هجرة آخر ملوك بني نصر 92
خاتمة..... 97
قائمة المصادر والمراجع..... 100